# الشعر في هذا العصر

بقلم عيسى ميخائيل سابا

* * *

الشاعر كما لا يخفى مرآة نفس الشاعر ، وممثل بيئته ، فهو لا يعطي الا ما يستمده بخياله من محيطه ، ولا يصور نفسيته حسب بل نفسية البيئة التي يعيش فيها ، ولا يتعالى بخياله الا بما يقع تحت نظره ، ويتراءى له من سماء بلاده وآفاقها ، فابن لبنان مثلا يستوحي جبله وغابه ، وانهاره ، وما فيه من مناظر خلابة ، فهو لا يقدر ان يصف نهر النيل في مصر ان لم يشاهده او انه يصف دجلة والفرات ولم تقع عينه عليهما ولا نهر بردى في دمشق وهو لم يكحل عينيه بمائه النمير ، ولامر ما قيل : ان المرء ابن البيئة ياخذ منها ويعطيها .

ولما كانت النهضة الشعرية آخذة بالامتداد والانطلاق، بات على كل اديب او متادب ان يطلــع على نتاج افكار اخوانه . وهنا ، لا بد لي من ان اقول ما اراه في الشعر وما وصل اليه ، ولكل رايه وعليه ان يبديه .

## الشعر في هذا العصر

بين الادباء والشعراء حركة جديدة ، بشان الشعر فهذا يميل الى التمسك بالعروض كما وضعه اصحابه ، فلا يتخلون عنه ، ومنهم من يريد ان يطوي صفحات الزحافات والعلل والاسباب والاوتاد ، وينفض يده من الاوزان المنسوب وضعها الى الخليل ابن احمد ، وياخذ بمذهب ابي العناهية الذي خرج على تلك الاوزان فنظم على اوزان ما اوحت اليه نفسه ، ولما سئل عن ذلك قال : « انا فوق العروض » فاستحدث اوزانــا لا تمت الى العروض بشيء ، فهو بذلك كان من مؤسسي الانقلاب الشعري في عصره العباسي ، فقد اطلق نفسه من تقليد المعاني والالفاظ ، واتى بمعان جديدة ، ومما روي عنه ، انه قعد ذات يوم عند قصار ، فسمع صوت المدقة ، فحكى بذلك شعرا قال :

للمنــون دائـــرا ت يدرن حرفهــا
هـــن ينتقيننـــا واحــدا فواحــدا

ولما كان الشعر لحنا وموسيقى ، يوقع على اوتار الصوت والاذن ، كان من الواجب ان يتقدم بتقدم آلات الموسيقى التي اخترعت وزادت على ما كان معروفا منها ، وقد قلت في كتابي « شعراء القصة والوصف في لبنان » : والشعر في مذهبي يجب الا يقتصر على ما سنه الاقدمون بالوزن والقافية وهو غناء ولحن ، والالحان تتنوع بتنوع الجيل ، وآلات الطرب قد زادت وزادت كثيرا على الدف والدربكة والبربط والربابة والناي والطنبور والعنيز وما الى ذلك (١) .

وهذا ما يدعوني الى القول : انه من المستحسن ان يكون لعصر نهضتنا هذه لونا في الشعر ، ولا ضير علينا ان نحن استعرنا الحانا حنونة من الحان الامم الذين نعايشهم ، فهذا لا يحط من منزلة الشعر ولا ينزل من قدره ، بل يزيد في ثروته ويعطيه لونا جديدا ، تظهر به حياة عصر نهضتنا في البلاد العربية كلها .

وقد اعجبتني جراة شاعر بيروتي كان سنة ١٨٩٠ هو الشيخ قاسم ابو الحسن الكستي ، قد نظم تاريخا ليوبيل الدكتور «فانديك» الخمسيني على بحر الرمل ، ذيله بتفعيلة زائدة عن وزنه المعروف ، نظرا لزيادة من قد نظم التاريخ لاجله ، فاستعار من موشحات شعراء الفرس تلك التفعيلة ، ويسمى هذا عندهم « بالمستزاد » واما التاريخ فاليكه :

ان « فنديــك » بارض الشام قد تمت لــه
مدة الخمسين عامــا وهو بالعيش الرغيــد
عيدهــا بين الــورى ، يا سعد ارخ قد جرى
بالهنــا في عصر السلطان العلا « عبد الحميد »
١٣٠٧ هـ

فاذا كان الشيخ الكستي قد استوحى من الفرس ما رآه حسنا في عصر غير عصرنا هذا ، أفلا يجوز للشعراء ان يتفننوا بمنظومهم ، كما تفنــن المخترعــون بايجاد الطائرات على انواعها والصواريخ وآلات النقل السريعة وآلات الرفاهية المنزلية . أمن العدل ان نبقى بين قوائم الجمل وتحت المضارب نفكر تفكيرا صحراويا . ونحن في المدر لا في الوبر .

ولا ريب ان التفاضل في الشعر يكون بالالفاظ ورصفها وتاليفها وحسن نظمها وجمال معناها كما في قول نازك الملائكة :

ايها النهر لقد جاء المساء ومشى الصمت على الموج الوديع
وخبا في الافق الحالي الضياء وتلاشى وقع اقدام القطيع

سكن الكون سوى الموج المدوي باساطير العصور الخاليات
لم يزل يشكو المقادير ويروي ابدا للكون اسرار الحياة

اليس في تنويع القافية راحــة للاذن ، واطراب للسمع ، وليس لي الا ان اريك لونا اخر من الشعر ، للشاعرة ثريا عبد الفتاح ملحس قالت :

لو دعا عيسى في البشر
ماذا تراه يسال ؟
لو قال : يا قومي الم
ترعوا بلادا قدست
فاصفر منا اوجه

---

(١) شعراء القصة والوصف في لبنان منشورات دار بيروت ودار صادر ص ٩

**رحنا بذكرى حاله**

اما في هذا النوع لونا جديدا ؟ وان خرجت عن العروض ، اما فيه لحن ؟ اما فيه صورة ؟ اقرأ القصيدة واحكم . « ملحمة الانسان »

ولا اريد ان اطيل بك المسير فانت مقبل على قراءة ما تراه في الجرائد والمجلات ، ولا ريب انك واجد الوانا جديدة ممثلة القطر ، بأحساسه وشعوره ، وحبه وآلامه، وذكرياتــه .

ربما لم ترقك بعض هذه القصائد ، فالاذواق وان اختلفت لا تمنع الاطلاع عليها ، فقد توحي اليك بعض الفكر او تطلعك على ناحية من نواحي الحياة ، والانسان لا يعطي الا ما عنده ، ومشاركة الافكار ، تنتج وتثمـر افكارا مستجدة ويتقاضاني البحث الى قول كلمة :

## في الشعر وبيئته

قلنا ان حركة تقوم في هذه الآونة حول الشعر ، ولكل راي فيه ، فمنهم من يرى لـــزوم التقيد بالوزن والقافية كما قلنا سابقا ، واخرون يرون ان الخروج عن ذلك من دواعي التجديد فمن المحـــق ؟ ويجانب مـن الصـــواب ؟

وفئة اخرى ، ترى ان الشعر كلام لطيف وصورة تتراءى للعين فلا تفسر ، فيعمد الى رصف كلمات واداقة الوان بكلمات رقيقة ، لا تمت الى وزن ولا جرس ؟ ولا نغمة موسيقية ، فيزعم ان ذلك تجديد في الادب وابداع في الفن كقول بعضهم :

**محبوبتي الشقراء ...**
**تمشي على الدرب ...**
**خفة ورشاقة ...**
**بقدهـا المعطاء ...**

وانا لا ارى بهذا القول شعرا ولا معنى ولا لونا بل هو صف كلام ، فمحبوبته شقراء تمشي على الدرب ، واين يريدها ان تمشي ، اعلى الماء ام تطير بالهواء ؟

وفريق يرى راي الاندلسيين الذين تفلتوا من القيود العروضية ونظموا الموشحات التي اصبحت فنا جديـدا في الادب العربي ، وفرضت نفسها عليه فأفسح لهـــا المجال في صلبه واستساغها ، ولما يزل يستلذها ويطرس على منوالها . لان فيها لحنا وجمالا .

وان نحن اردنا ان نؤرخ الشعر منذ اهتداء الانسان اليه رجعنا بخفي حنين ، او كان مثلنـــا مثل من يحصد الهواء او يقبض على الماء ويطبق عليه اصابعه . والرواة والمؤرخون لم يدونوا في مجاميعهم شيئا ولم يشيروا الى بدء وجوده في ما اعلم ، وليس ذلك مقصورا عـلى اللغة العربية حسب ، بل يتناول لغات العالم اجمع ، لان الغناء وهو اصل الشعر قد طرأ على كل امة من الامم ، يوم نظرت الى جمال الطبيعة الفياضة بالحسن ، المليئة بالروعة ، الفواحة بأطايب النفحات ورقيق النسمات ، فاقرت عينيها ، واطربت لبها ، فانطلق لسانها ينشـد ما رق من الكلام على نغمات استلذها وارتاح اليها خاطره، واطمأنت اليها نفسه فكان الشعر .

والشعر العربي الموزون المقفى لم يكن ابن ساعته بل تعاقب عليه دهر طويل قبل ان يصل الى ما هو عليه، من حسن الرصف وعذوبة النغم وجمال الوزن ، فهـل اهتدى اليه الانسان من صفير الريح وتساقط الامطار وخبب الخيل ، او من مطارق القصارين كما يذهب غير واحد من ان الخليل بن احمد ، قد اهتـدى الى وضع ابحر العروض من وقع المطارق وهو في سوق القصارين.

على ان الامام السيوطي يذهب في كتابه المزهر ، نقلا عن ابن فارس وغيره من ان ابحـر العروض كانت قديما ، ولكنها فقدت واهتدى اليها الخليـل ، فازاح الستار عنها ، على ان الامر لا يدعو الى بحث ولا يحتاج الى تحقيق ، اذ قد عرفنا ان الشعر نغم ، والنغم هبـة ملائكية للبشر منذ نشأته حتى يوم الناس هذا ، وهـو امر طبعي او شعور نفسي يتغنى به المرء في وحدته او في حالة من احوال النفس التي ينتابها الفرح والحزن ، والشعر ولا ريب وحي المراة وهي اصل من اصول الادب، ولولاها لما كان شعر ولا نغم ، ومرد ذلك كله الى الشعور الجنسي بين الطرفين كما اثبت ذلك غير واحد مـــن اساطين علم النفس ، وقد راوا ان المراة هي العامل الاول في تقدم الحضارة ورقي العاقل المدرك .

ويرى اخرون ان المراة قصيدة ابدية تطمئن اليها النفس ويرتاح لها الخاطر ، وهذا غير مقصور عـــلى الانسان بل يشاركه به مطلق الحيوان والنبات ، فالحيوان له نزوات في فصل معروف واناث الطيور تغير ريشها بعامل طبيعي ، طلبا للذكر والنبات كذلك ولولا ذلك لما راينا صيفا وخريفا وشتاء وربيعا ، ولكل فصل ثمـاره وازاهيره وخضاره ومواليده .

فالشعر اذا ، هو وحي النفس بما يطـرأ عليها ، وللشاعر ان يصور احساسه ، سواء في اتباع الوزن المعروف والقافية ، او في الاعتماد على النغم ، والنغم اصل لــه :

**لفن في كل بيـــت انت قائله    ان الغنـاء لهذا الفن مضمار**

والكلام الذي يفقد النغم او اللحن لا يعد شعرا ، مهما حاول صاحبه ان يتفلسف ويتمنطق ، والكلام ذو النغم ان فقد المعنى كان هراء ، واللحن الجميل نسمعه في قرارة نفوسنا ، في سقسقة المـــاء وصفير الهواء وحفيف الاوراق وتغريد الطيور وتنوع المناظر . ومـن اطل بناظره صباحا او عند الغروب على جبل صنين من « القليعات كسروان » مثلا ورأى الوهاد والآكام والجبال والغابات المنتشرة في ثناياها البيـــوت ذات الاسطحة القرميدية لهتف فورا : لبنان شعر والروابي قافية ،

## الطفل العاشق

وجلس قريبا منها وقال لها انت عروستي
وسالته اتحبني ففقد الحياء لسانه

●

سليه بعد عشر من سنيه ... ايعني ما يقول ويدعيه
سليه لا قبيل الخمس هلا ... يروق له الجمال ويستبيه
فيا لك « غادة » فتنته طفلا ... فكاد من الجوى ينسى ذويه
الا ابصرت كيف يذوب شوقا ... كانك منه حلم يجتليه
يراك جميلة ويحس شيئا ... يدغدغ جانحيه ولا يعيه
غدا تمسين في شفتيه شهدا ... وتحلو كل هامسة بفيه

وديع ديب

وقافيته ليست على وتيرة واحدة ، بل هي متنوعةالمناظر مختلفة التكوين ، وهذا ما يزيدها جمالا ، ويضمنها اسرارا ، ويملأ العين دهشة والخاطر حيرة :

تحير الحسن في رباه وبات الحسن فيه محير الانحاء

وبعد هذا الذي بينت ، يصعب علينا ان نبحث تاريخ الشعر وهو وحي الخاطر ، قبل ان نبحث الجمال، فاذا عرفنا الجمال وتاريخه عرفنا الشعر وتاريخه ، والجميل جميل في كل مكان وكل زمان يتناول الشعور والاحساس واللذائذ التي توحيها مناظر الاشياء الخلابة ، ويبعث في النفس مصورا هالة الحب القدسية والشغف الزائد بالتطلع اليه :

يزيدك وجهه حسنا ... اذا ما زدته نظرا

وعلى هذا اقدر ان اقول : ان لكل عصر شعرا ، ولكل جيل من الناس ذوقا ، ولكل امة من الامم اصطلاح جمال تتبينه في نفسها ، ولا تقدر ان تعبر عنه الا بوحي الخاطر ، اما نغما واما كلاما يوافق طبيعة اقليمها .

والجمال الافريقي غير الجمال الاسيوي ، والجمال الاسيوي غير الجمال الاوروبي ، وهكذا هي الانغام ، فانها تتفاوت بتفاوت الاقاليم والمناخ وهكذا هو الشعر ، والامة الحية تستمد أدبها من طبيعة بلادها واقليمها وعاداتها ، وليس من طبيعة اخرى ، فادب الصحراء غير ادب الجبل بصخوره وغاباته وحدائقه وبساتينه ومياهه المتدفقة ، الا ان الشعر وان تعددت الوانه فلا يخرج على صيغة اللغة الموحدة وهي العربية الفصحى التي تجمع التفاهم بين الاقطار العربية كلها. ويدعوني المقام الى سوآل هو :

### من هو الاديب ؟

ليس الاديب من وافاك بالقول نظما ونثرا بكلمات مضغتها الايام وهضمها الزمن وجرت على اللسان ، مفككة الاوصال او متصلة الكلم على غير نظام ، وهي اقرب ما تكون الى قرقعة الصحون والملاعق بين يدي منظفها من الادران في مطعم او مطبخ .

الاديب هو الذي يعطيك من روحه بيانا ومن نفسه فكرا ، يصور لك الحياة بكل نواحيها ، ويشعرك بها وانت وراء مكتبك او في روضة او على راس اكمة ، تقراه فتحس احساسه وتشعر شعوره، وتود لو كان على مقربة منك ، لتتزود من اقواله ، وتروي عطشك من معين فكره، هو الذي يحلق بك في سماء الخيال الى ما وراء الوجود ، فينسيك انك ابن الارض التي تطأها وتغتذي من نبتها ومائها تاخذ منها وتعطي ، فتزيدك شحما ولحما لتستردهما الى جوفها فتحلل تلك البقايا لتكون نباتا واشجارا .

فالاديب الذي يكتب لادبه الخلود هو الذي يأخذ منك قشورا فيصوغها في بوتقة خياله ادبا صافيا ، وفكرا رائعا ، يشركك بأدبه فتحسه لانه منك واليك . ويبث في صميمك حياة جديدة ، تهيب بك الى الرفعة ويقطع كل صلة تصلك بالتقاليد البالية ، وما صاغه الزمن من اساطير ، نزلت منزلة التقديس والتكريم ، فيحررك من كل قيد ومن كل سيد متزعم ، ويعلمك ان الناس سواسية، فلا سيد ولا مسود ، بل نظام وعدل وقوة بلا ظلم .

الاديب الحق هو الذي يحررك من كل قيد ويريك وجه الحياة في مرآة صافية الماء جلية ، تظهر المرئيات على حقيقتها ، مكسوة وعارية ، مستترةوبارزة . فتمكنك من تنقية بثور الايام ، وما حاكت لك من اصفاد وتملأ بالمحبة فتجعل الظلام فيك نورا والنور حياة وفكرا او ما سمعت ما قيل :

والذي نفسه بغير جمال ... لا يرى في الوجود شيئا جميلا

عيسى ميخائيل سابا

# مصادر دراسة الشعر العراقي الحديث

بقلم الدكتور جلال الخياط

* * *

للمصادر الادبية اهمية كبرى في الدراسات الموضوعية الحديثة ، فالقارىء الواعي يعرض اليوم عن المقالات العاطفية التي لا تعتمد – فيما تقرره – المصادر المعروفة، وهو قد مل النتاج الادبي الذي يهدف الى التزويق اللفظي واظهار براعة الكاتب اللغوية .

ومصادر دراسة الشعر العراقي الحديث كثيرة متوافرة وان كانت تبدو متناقضة لا وجود لخطة تنتظمها، وهذا امر طبيعي فقد صدر قسم منها قبل حقبة طويلة ومثل وجهة نظر كانت سائدة آنذاك في حين يعرض قسم اخر منها احدث الاراء واكثرها غرابة ويعتمد النظريات الغربية في احكامه ، والملاحظ بصورة عامة ان بعض هذه المصادر يكثر من التفصيلات المملة ويشرح في فصول مطولة فكرة يمكن عرضها بكلمات وجمل قليلة ، فكتاب يضم خمسمئة صفحة مثلا يمكن ان يكون دراسة رائعة في مئة صفحة ، ويبدو ان بعض المؤلفين لم يحسنوا الظن بقرائهم او انهم ارادوا لكتبهم ان تظهر باحجام كبيرة ، وتورد بعض هذه المصادر قصائد طويلة بمئة بيت او اكثر ، يمكن الرجوع اليها بسهولة في الدواوين ، فهي ليست كتب دراسة كما تشير اغلفتها ولكنها كتب مختارات شعرية وحسب ، وطابع الاحتيال فيها على القارىء واضح .

ولا شك ان اهم مصدر واولاه بالعناية والتقدير هو : النص الادبي ، ففي اية دراسة شعرية تكون الدواوين هي المصدر الاول والمنبع الذي عنه نصدر ومنه نستقي، وبعد النص الادبي نستعين بما كتب على هامش النص من دراسات وبحوث على شكل كتب ومقالات ، وعلينا ان لا نغفل المصادر الحية في الدراسات الحديثة فهناك كثير من الاشخاص الذين يمكن ان نستفيد من خبراتهم واخبارهم .

وبما ان الدراسات الاكاديمية قد كثرت في ايامنا هذه ، في محاولة كبرى لحصر الظواهر العلمية والادبية في اطار موضوعي ، وبما ان طلاب البحث يعانون بعض الصعوبات في العثور على مصادر اية دراسة حديثة ، خلافا لمصادر الدراسات القديمة التي اصبحت معروفة ومشهورة ، رايت من النافع ان ادرج هنا قسما من الكتب التي تعين الباحثين في الشعر العراقي الحديث .

ولا بد لنا في دراسة الشعر العراقي الحديث من تقسيمه الى مراحل ثلاث : نهاية الفترة المظلمة المتمثلة في القرن التاسع عشر ، ومطالع القرن العشرين حتى الحرب العالمية الثانية وما ساد هذه الفترة من تيارات متناقضة حملت الاغراض الشعرية الى الصعيد الشعبي وبدات تتمرد على الموضوعات الشخصية الضيقة في القرن التاسع عشر ، ثم محاولات التجديد ما بعد الحرب العالمية الثانية وهي ما تزال في دور التجربة والنمو .

وقد كثرت دواوين الشعراء في هذه الفترات الثلاث وان كان قسم منها ما يزال مخطوطا الا ان القسم الاخر متوافر في المكتبات والاسواق كدواوين : العمري والاخرس والحلي والطالقاني والطباطبائي وابن كمونة والازري والعبيدي ومحسن الخضري ومحمد الهاشمي واليعقوبي والحبوبي والبناء ، ثم دواوين : الزهاوي والرصافي والكاظمي والجواهري ورضا الشبيبي والبصير وعلي الشرقي وحافظ جميل والناصري ونعمان ماهر الكنعاني ويوسف عز الدين وداؤد سلوم وهادي الحمداني ومحمد بسيم ذويب وعبد الله الجبوري ومحمد جواد الممار ومحمود الحبوبي ووليد الاعظمي وعبد الصاحب الملائكة وابراهيم منيب الباجه‌جي وطالب الحيدري ، ثم دواوين: السياب وجبرا ابراهيم جبرا « وله بحوث متفرقة في الشعر العراقي الحديث » والصافي النجفي وعبد الوهاب البياتي وسعدي يوسف وحسين مردان ومحمود المحروق وبلند الحيدري وبشير حسن واكرم الوتري وحارث لطفي الوفي وبذوق فرج رزوق وابراهيم عبد الرحمن الخال ومحمد جميل شلش وجواد كاظم وشاذل طاقة وخالد الشواف « الذي كتب مسرحيات شعرية ايضا » ومحمد النقدي وعاتكة وهبي الخزرجي ونازك وصبرية الحسو ولميعة عباس عمارة وفطينة النائب وصفاء الحيدري وقحطان المدفعي « وتجربته الشعرية غريبة جدا وجريئة جدا » وصديق عقراوي وطارق مصطفى الزبيدي وغازي الكيلاني ومحمد النقدي وهاشم الطعان وصالح جواد الطعمة ورشدي العامل وعبد الامير الحصيري وحسن البياتي وراضي مهدي السعيدي وعدنان الراوي وعبد الغني الملاح والفريد سمعان واكرم فاضل وعلي الحلي وعلي جليل الوردي وعبد الخالق فريد وزكي الصراف وسلمان هادي الطعمة ومؤيد هادي القس وجاسم الدوري ، وممن كتبوا مسرحيات شعرية : عبد الحميد الراضي وعلي الشوبكي واحمد حمودي السامرائي وعبد الكريم الآلوسي وعلي الصغير ويوسف امين قصير . ويبدو ان قسما من هذه الدواوين يغرق في التقليد ويسرف فيه فتتكرر شخصية شاعر ما في نتاج شعراء متفرقين .

ومن اهم المصادر في دراسة الشعر العراقي في مرحلته الاولى – ذروة التقليد في القرن التاسع عشر كتاب : « نهضة العراق الادبية » للدكتور محمد مهدي

البصير فقد عنى هذا الكتاب عناية خاصة بشعرائنا في القرن المنصرم ، ومن ثم كتاب روفائيل بطي : « الادب العصري في العراق العربي » ، وكتاب لويس شيخو : « الآداب العربية في القرن التاسع عشر » ، و « الشعر العراقي ، اهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر » ليوسف عز الدين ، ويمكننا الاستعانة ببعض المصادر والكتب التاريخية لنتفهم الروحية التي سادت القرن التاسع عشر سياسيا واجتماعيا وفنيا ومنها : « الشعر العراقي السياسي في القرن التاسع عشر » لابراهيم الوائلي ، و « مقدرات العراق السياسية » لمحمد طاهر العمري الموصلي ، و « جمهرة المراجع البغدادية » لكوركيس عواد وعبد الحميد الدجيلي ، و « تاريخ العراق بين احتلالين » الجزء السابع والثامن لعباس العزاوي و « تاريخ العراق السياسي الحديث » لعبد الرزاق الحسني و « محاضرات عن العراق من الاحتلال الى الاستقلال » لعبد الرحمن البزاز ، و « داؤد باشا ونهاية المماليك في العراق » ليوسف عز الدين ، وهناك كتب اجنبية كثيرة يمكن الاستفادة منها في هذا المضمار منهاما كتبهآربري A. J. Arberry عن الحضارة الاسلامية، وهنري فوستر Henry Foster عن العراق الحديث ، وجورج هاريس George Harris عن العراق « وفيه فصل كامل عن الشعر العراقي الحديث» ، ودراسات ستيفن لونكريك Stephen Longrigg عن العراق « وقد ترجم بعضها جعفر خياط » وكتاب ديزموند ستيورت Desmond Stewart عن العراق وهو بعنوان : بابل الجديدة New Babylon وفيه فصل الخاص عن الشعر العراقي والشعراء العراقيين المحدثين ، وغيرها .

اما الكتب التي تبحث عن الشعراء العراقيين والشعر العراقي بالذات فكثيرة منها ما كتب مصطفى علي عن الرصافي : « محاضرات عن الرصافي ، ادب الرصافي ، الرصافي » ، وجلال الحنفي : « الرصافي في اوجه وحضيضه » ، وعبد الوهاب سلوم : «الجوانب الانسانية لدى الشاعر الرصافي » ، وهلال ناجي : « صفحات من حياة الرصافي وادبه » ولصفاء خلوصي : « معروف الرصافي .. مستل من مجلة الدراسات الشرقية والافريقية باللغة الانكليزية ـ لندن ١٩٥٠ ، وقد نقله الى العربية طالب عبد الجبار السامرائي » ، وكتاب ابراهيم العلوي : « مع الرصافي الثائر » ، وعبد اللطيف شرارة : « الرصافي » ، وبدوي طبانة : « معروف الرصافي » ، ولنعمان ماهر الكنعاني وسعيد البدري : « الرصافي في اعوامه الاخيرة » ، ولوحيد الدين بهاء الدين : « كلمات في الرصافي » ، ولرؤوف الواعظ « معروف الرصافي » ، وقد جمع سعيد البدري «آراء الرصافي في السياسة والادب والدين والاجتماع » ، ولطالب عبد الجبار السامرائي « الرصافي ذلك الانسان» ، ولعبد الحميد الرشدوي « في ذكرى الرصافي » ولعبد الصاحب شكر : « عبقرية الرصافي » ، واصدر اتحاد الادباء العراقيين سنة ١٩٥٩ كتابا ضم المقالات التي القيت في مهرجان الرصافي ، وكان العدد الثامن ، سنة ١٩٥٩ ، من مجلة « الثقافة الجديدة » خاصا بالرصافي وممن اسهموا في هذا العدد الخاص : يوسف عز الدين ومحمد شرارة وصلاح خالص .

ومن اولى الدراسات عن الزهاوي كانت « حقيقة الزهاوي » لمهدي عباس العبيدي ، و « الزهاوي » لاسماعيل ادهم الذي قيل انه انتحر قبيل سنة ١٩٤٠ وسيصدر وحيد الدين بهاء الدين دراسة وافية عنه ، و « الزهاوي وديوانه المفقود » لهلال ناجي ، و «محاضرات عن جميل صدقي الزهاوي » لناصر الحاني ، و «الزهاوي الشاعر القلق» ليوسف عز الدين ، ولسالم علوان الجلبي « مجرى الاوشال » وهو دراسة لديوان الزهاوي « الاوشال » ، وقد ظهر الزهاوي نفسه في تلفزيون بغداد قبل اشهر في برنامج طريف يعده خالص عزمي ويقوم احد الفنانين بتمثيل دور الشاعر .

اما الكاظمي فقد اصدر عبد الرحيم محمد علي كتبا تضم مجموعة كبيرة من المقالات والدراسات التي تناولت شعر الكاظمي وحياته ، وقد حقق حسين على محفوظ « عراقيات الكاظمي » ، وفي كتاب نقد وتعريف لعبد الله الجبوري فصل عن الكاظمي ، وكتب وحيد الدين بهاء الدين عن الكاظمي ايضا في كتابه : « من الادب العربي المعاصر » ، وصدر مؤخرا كتاب لتركي كاظم جودة عن احمد الصافي النجفي وهناك كتاب اخر عن الصافي لابراهيم عبد الستار .

اما الدراسات التي تناولت الشعر الحديث ومحاولات التجديد بعد الحرب العالمية الثانية باسهاب فكثيرة منها : كتاب محمد النويهي : « الشعر الجديد » ، ودراسة احسان عباس : « عبد الوهاب البياتي والشعر العراقي الحديث » ، وكتاب عروضي مدرسي لنازك الملائكة : « قضايا الشعر المعاصر » ، ومجموعة مقالات مختارة جمعت ونشرت بعنوان : « عبد الوهاب البياتي رائد الشعر الحديث » وقد اختارها واشرف على طبعها واخراجها الشاعر نفسه ، ولمحمود العيطة : « بدر شاكر السياب والحركة الشعرية الجديدة في العراق » ، وصدر كتاب اخر عن السياب لعبد الجبار داؤد البصري بعنوان: « بدر شاكر السياب رائد الشعر الحديث » ، وهذان الكتابان صدرا بعد وفاة الشاعر ، وفي كتاب « البحث عن الجذور » لخالدة سعيد فصول عن الشعر الحديث .

وهناك كتب تتحدث عن الشعر العراقي بصورة عامة دون ان تنفرد بدارسة شاعر بذاته منها : دراسات علي الخاقاني : « شعراء بغداد ، وشعراء الحلة والغري وكربلاء والزوراء » ، و « الشعر العراقي الحديث واثر

# تهويمة

نامي وطاب لك الرقاد
زهرا يرف على الوساد
ولتسع حولك في منامك ذاك اطياف الملائك
تشدو وتعزف كيف شئت لكي تشارك في هنائك

طيري باجنحة شفيفه
نحو الذرى الشم المنيفه
حيث الاماني العذاب حقيقة تحيينها
حيث الرغائب كيفما احببتها تجدينها

وتسنمي قمم السرور
وراء أستار الشعور
ولننطلق خلف الحواجز نحو ابعاد جديده
فيها ننال من المباهج كل شاردة فريده

ان كان اخمد ذا الحريق
وكان رواك الرحيق
فسعادتي اني دليلك في الطريق الى السعاده
وعلى يدي تلك الرؤى تنداح من فوق الوساده

جزنا معا درب الهوى
عبر النوى .. عبر الجوى
والان حق لنا بلوغ القمة المستشرفه
متساندين تزفنا احلامنا المتشوفه

حلقت بي فوق السحاب
واتيتني من الف باب
بعجائب ما كنت احسب انها يوما تكون
وصنعت بي ما ليس تحدس ما طبيعته الظنون

جاوزت بي كل الحدود
وابحت لي سر الخلود
وغمرتني بالنور .. بددت الظلام بمهجتي
وشلمت بالاشراق عمري.. بالرضا كينونتي

نامي فقد اسعدتني
نامي فقد احييتني
وبعثت في من الاحاسيس التي انسيتها
ما كان لولاك انقضى عهدي بها.. فوجدتها

الجزائر — جمال مرسي بدر



التيارات السياسية والاجتماعية فيه » ليوسف عزالدين، و « تطـــور الفكرة والاســـلوب في الادب العراقـي » و « الادب المعاصر في العراق » لداؤد سلوم ، واصدر احمد ابو سعد « الشعر والشعراء في العراق » وهـو كتاب قليل الجدوى اذ يكثر من النمـاذج الادبية التي نستطيع الحصول عليها بسهولة في الدواوين ، وليس فيه الا النزر القليل عن حياة الشعراء وبعض المعلومات المتوافرة لدى الجميع ، وقد تناول ابراهيم السامرائي بعض الجوانب اللغوية في الشعر العراقي الحديث في كتابه « لغة الشعر بين جيلين » ، وكتـب مارون عبود تتحدث في فصول متفرقة عن الشعر العراقي ، وهناك كتاب لجليل كمال الدين : « الشعر العربي الحديث وروح العصر » وفيه كثير من الامور الشخصيـة والنزعات العاطفية ، ولغازي عبد الحميد الكنين : « شعراء العراق المعاصرون » ولاحمد فياض المفرجي : « المرأة في الشعر العراقي الحديث » ، ولكاتب المقال دراسة موسعة في الشعر العراقي الحديث من المؤمل أن تكون جاهزة للطبع خلال اشهر ، واصدر انور الجندي كتابا بعنوان «الادب العربي الحديث في معركة المقاومة والتجمع من المحيط الى الخليج» وفيه فصل عن العراق ولقـد علـق عليه ونقده الدكتور علي جواد الطاهر في مجلة الاديب ، العدد ٢ ، ١٩٦٧ ، ولشوقي ضيف فصول في الشعر العراقي في كتابه « دراسات في الشعر العربي المعاصر » .

وهناك عشرات من المقالات والبحوث عن الشعـر العراقـي الحديـث نشرتها مجـلات ادبية وجرائد يومية ولا يستغني الباحث عن المجموعات الكاملة لهذه الجرائد والمجلات ومنها : المقتطف ولغة العرب والرسالة والثقافة والاديب والآداب والمثقف وشعر والاقلام وغيرها .

هذا ما استطعت أن احصيه وان اسجله من مصادر الشعر العراقي الحديث ، ولعلي قد سهوت عن بعضها او لم تسعفني الذاكرة على تدوينه وارجو ان نحظى في المستقبل بمن ينبه على مصادر اخرى فاتني ان اذكرها .

بغداد ـ الكلية الجامعة — جلال الخياط

- لست ادري متى تفي بوعدك يا حسام .

- اصبري يا غادة . انني على يقين باننا سوف ننجح في النهاية .

مطت شفتيها ، وقالت في يأس وسخر :

- ننجح ؟ ننتصر على زوجتك ؟ هذا محال . لا شك انك تحبها وتؤثرها علي . لماذا لا تصارحني بذلك ؟.

فقال بنغمة لائمة :

- الا تصدقينني ؟

لقد كنت تصدقينني من قبل . كان قلبك وحديثك مشبعين بالامل . فماذا جرى لك ؟.

اصوات من الداخل : حبيبي حسام ! لا تنس ان تحضر معك عند عودتك كيلوا من الموز لصبيح . لماذا تأخرت في العودة يا حبيبي ؟ لقد نعست في انتظارك . اين كنت ؟ لقد كنت قلقة عليك .

منظر في الداخل : تودع حياة حساما بوجه مشرق بفيض ابتساما وتلوح له بيدها الانيقة في دلال وحب ، بينما كان هو يخرج من المنزل ونظره عالق بها . - تستقبله زوجته عند العودة الى المنزل مؤهلة ، ثم تمسك يده وتسير معه في مدخل المنزل بخفة ودلال .

اصوات من الداخل : ان الحياة معك لا تطاق . تتركين كل شيء وتهملين واجباتك المنزلية وتخرجين الى منازل صديقاتك لقضاء النهار بكامله في الثرثرة معهن . هل هذه حياة ؟ هذا الطبيخ لا لذة فيه ولا طعم له . ان المزبلة اولى به من بطني . ابعديه عني ! انك مهملة ! مهملة !.

منظر في الداخل : يصفع حسام زوجته صفعة مؤلمة فتبتعد عنه وتجلس على الكنبة منتحبة . ثم يوليها ظهره ويخرج من المنزل في غضب .

- حبيبي حسام ! ان والدي نفد صبرهما . وهما الان يحاولان ان يزوجاني بشاب لا احبه . هل فهمت الان الحقيقة ؟

انك ان ظللت كعادتك تعد ولا تفي انتهى حبنا بالفراق .

فالقى حسام على غادة نظرة منقبضة سارحة وقال :

- انني لم اكن اعلم بذلك .

اصادقة انت ؟ اخشى ان تكوني كاذبة وان يكون قصدك التعجيل في زواجنا .

فم صغير ، وعينان صغيرتان ولكنهما جذابتان ، ووجه صافي البشرة من موجات الهموم وآلام المرض ورواسب العمر ، وقوام منتصب في ترعرع ونضارة ونحافة كفرع جديد نابت من غصن شجرة ، وشعر خروبي اللون غزير شرس






بقلم عبد الحميد الانشاصي

يلهي النظر بتموجاته وطوله ، ولون البشرة مؤلفة من حمرة غريبة شبيهة بذلك اللون الذي تكتسبه قطعة اللحم اذا احمرت في المقلى على النار : هذه هي غادة الفاتنة المغرية .

فم واسع قليلا ولكن شفتيه مبطنتان بلحم شهي ، وعينان واسعتان مرهقتان ولكنهما اذا ابتسمتا اضاءتا كقنديلين مزخرفين ، ووجه تشققت منه قشرة الشباب في بعض جوانبه ولكن في بعض الاحيان تمتلىء الشقوق بالاغراء والدلال ، وقوام لم ينتصب منه في اباء سوى الساقين ، وشعر اسود نتف الزمان بعضه وجعله اليفا مطيعا ، ولون ابيض ولكن صدأ التعب غشي بعضه : هذه هي حياة الزوجة الصديقة المحبة .

✶

« لا تمسحي شعري بكفك . دعيني استرح . لا ، لم تخطئي ولم ترتكبي ذنبا حينما مسحت شعري بكفك . انا لست مهموما ولا مغموما ولكنني مشغول البال . ارفعي ذراعك عن كتفي . لا ، ليست ذراعك حية ، ولكنني في حاجة الى الهدوء . لا تلقي جسمك على جنبي . اوف ! ما هذا يا حياة ؟ قلت لك : انني مرهق وفي حاجة شديدة الى الراحة والهدوء . الا تفهمين ؟ لماذا تسالينني هذا السؤال ؟ نعم ، احب امراة غيرك . هل فهمت الان ؟ كلا ، انها لا تحبني من اجل مالي . انها تحبني حبا صادقا . لنا سنون ونحن نتبادل الحب . هل عرفت الحقيقة الان ؟ انني لم اكن راغبا في اخفاء حبنا عنك ولكنني خجلت ان اصارحك به . تزوجتك لانني لم اقع في حب فتاة في ذلك الحين . انا لم اغدرك ولكن الحب صرف قلبي عنك ، ولا حيلة لي في ذلك . لم احبك ولم ابغضك حينما تزوجت بك ، انني اشعر انك متدلهة في حبي . لقد لاحظت ذلك منذ زمن طويل . . انا لست قاسي القلب ولكنني اشعر انني متدله في حب غادة بمقدار ما انت متدلهة في حبي ، والامر ليس بيدي . انا لا انكر انك ضحيت بالشيء الكثير من اجلي وانني رزقت منك ولدا نجيبا وجميلا . انني لا ابغضك ولكنني اوثر غادة عليك . حياة . لا تحاولي ان تستعطفيني بتذكيرك اياي بالايام الماضية وبالسعادة التي تذوقناها معا في بعض الاوقات . ان كل هذا لا يجدي . اصارحك بانني حاولت ان انسى حبي لغادة لاظل مخلصا لك

قصة

ولكنني وجدت نفسي اخيرا عاجزا عن ذلك . ان شيئا خفيا يحفزني على التـــزوج بغادة . ان وجهها مرسوم على شغاف قلبي » .

مضت حياة الى غرفة النـــوم تخطو خطوات عصبية في حيــرة وارتباك . وكان حسام ينظر اليها وهي مدبرة عنه مستطلعا ليتعرف ما تنوي ان تفعله . ولما غابت عن عينيه قليلا اقبل عليه ولده صبيح قائلا في فرح :

ـ بابــا !

ـ اهلا بك يا بابا . تعال الـــى يا حبيبي .

تقدم اليه صبيح بوجه مبتســم مرح ثم القى نفسه في حضنه . واخذ حسام يمر كفه على خــده تارة ويمسح بها شعــره اخرى . وكان من حين الى اخر يقبله . وجه صبيح فج ولكنه حلو ، وعينـــاه ساذجتـــان ولكنهما تدخلان الغبطة على القلب ، وجسمه صغير ولكنـــه يفيض حيوية وجمالا ، وكلامهليس مفهوما كله ولكنه يجلب الى النفس من السرور ما لا يجلبه الكلامالبليغ. ملابســـه جديــدة ومرتبة وزاهية اللون . وقد بدا فيها كزهرةعبيرها كامن في البساطة وسر جمالهــــا كامن في النضرة .

قال صبيح لوالده مبتهجا وهــو يشير الى ملابسـه :

ـ بابا ! « دح » !

قال له حسام شارد الذهن :

ـ « دح » بابا ؟

ثم انتبه لنفسـه والقى على ولده نظرة مخطوفة ولكن تلك النظرة على قصر عمرها افهمته ان ما يبدو له من ترتيب في ملابس ولده ومــن جاذبية في مظهره ومن نظافة في وجهه ـ من صنع زوجته . لها اثر في كل ما يبدو في الطفل .

ثم قال ولده : « دح » ! ماما !

وهنا سمع حسام صوت درج يغلق في غرفة النــوم ، ثم سمع خفق بابوج حياة وهي تذهبوتجيء في الغرفة . تخفق قلبه خفقانـــا مضطربا مازجــه خوف وحزن . وفجاة جذب صبيح والده من طرف معطفه وقال :

ـ بابا ! ماما !

سرح حسام نظره في وجه ولده باحثا عن المعنى الذي اراد انيؤديه الطفل بما فاه به ، ولكنه لم يفهم شيئا . فقال لولده :

ـ ماذا تريد يا بني ؟ .

ولما رأى الطفل ان والده ما زال جالسا في مكانه ولم ينهض قـــال متضايقا بنغمة مرتفعة ملحة :

ـ « قوم » ! « روح » ! ماما !

فادرك حسام مـــا يعنيه ولده ، فنهض من مكانه ومضى هو وصبيح الى غرفة النوم . ولما دخل الغرفة وجد زوجته ترتبثيابها فيحقيبتها، فشعر بنخسة في قلبه وتسمر في مكانه ينظر الى ما تقوم به في صمت مؤلم ، ثم قال :

ـ ماذا تفعلين يا حياة ؟

هل تريدين ان تغـــادري المنزل وتبتعدي عني ؟ لا ، لا . توقفي . لا تتركيني وحدي .

واخذ ينقل نظراته بينها وبين خزانة الثياب في حزن وتفكيـــر واطراق.

منظر في الداخل : تغلق زوجته حقيبتها ثم تخــرج من المنزل في صمت دون ان تلقـــي عليه نظرة واحدة . وبعد ذلك يسرح نظرهفيما حوله فيجد المنزل خاليا ويبدو له ولده مستوحشا كئيبا ، فتضيـــق الدنيا في وجهه ويحن الى زوجته وينسى حبيبته غادة .

اصوات من الداخل : اذهبيعني يا غادة ! لقد خربت دياري ! لا اريد حبا ولا غراما ! .

حينما القى حسام السؤال على زوجته لم تجبه بكلمة بل واصلت اخراج ملابسها من الخزانة وترتيبها في الحقيبة دون ان تكترث لــه . فدنا منها وامسك يدها قائلا :

ـ لا يا حياة . لا تخرجي . انني في حاجة اليك . ان المنزل بدونك لا يساوي شيئـــا . انــت زهرة داري وام ولدي .

وقد لصق ولده بامه ، وامسك طرف فستانها .

ثم رفعت حياة وجهها الى زوجها ونظرت اليه في كآبة وثورة مكتومة وقالت :

ـ هذا ما اردتني ان افعله . ما دام وجه غادة مرسوما على شغاف قلبك فما بقائي هنا ؟ اذهب واحضر حبيبتك وفاتنة لبك الى المنزل .

هل ندمت على ما فهت به ؟ هل عاد اليك عقلك ؟ هل عرفت قيمتي الان ؟.

ـ لا يا حياة . لقد تعودتالحياة معك . ابقي من اجل ولدنا .

شعرت حياة بالراحـــة والغبطة تسريان في اعصابها وتزيدان قلبها خفقانا وتكادان تطلقان من فمهـــا تنهدة كبيرة .

منظر في الداخل : يرفعها حسام بيديه ويضمها الى صدره ثم ينهال عليها تقبيلا وهو يقول : انياحبك! انني اعبدك ! .

اصوات من الداخل : انت لـــي وانا لك . انني المراة الوحيدة التي تحبك وتضحي بكل شيء من اجلك. انسى غادة . انها لا تحبك لنفسك، لا تصدق ما تقوله لك ولا تثق بها .

ولكنها هزت كتفيها وقالت فـــي دلال بنغمة منخفضة :

ـ لا . اذهب الى حبيبتك غادة. هي التي يمكنها ان تسعدك فـــي حياتك . اذهب اليها .

وهل تعدني بالا تجرح مشاعري من الان فصاعدا ؟.

فابتسم حسام ابتسامة حزينة ، ثم ربت كتفها وقال :

ـ انسي تلك الفتاة . لا تفكري فيها . لقد انتزعتها من ذهني . لماذا تغيظنني هكذا .

ولكنها ما زالت تعبــث بالملابس المرتبة في الحقيبة . كانــت في انتظار يديه لترفعاها اليه وتضماها

الى صدره . ولكنه لم يفعل ذلك في اول الامر بل امسك الحقيبة وقذفها بعيدا عنها ، ثم اغلق درج الخزانة وبابها المفتوح بقدمه في قوة وقال في رقة :

ـ انهضي يا حبيبتي .

انني مشتاق الى تقبيلك .

ورفعها بيديه في لطف ورقة ، ثم ضمها الى صدره في قوة ووقع شفتيها بقبلة صلح ووعد .

*

« لقد تعودت سماع المعسول من كلامك والفتور في افعالك . لا ، انت لا تحبني . انني لا اصدق ذلك. انك تحب زوجتك . هذه هي الحقيقة التي تخفيها عني . لا ، ليس هناك برهان على حبك اياي . طبعا لا اصدق . من يدري ربما اتخذت لك عشيقات كثيرات وادعيت لهن انك حبيبهن المخلص الذي يضحي بكل شيء من اجلهن . لا تقسم . انني لا اصدقك . محال ؟ لا ، ليس هناك شيء اسمه محال في افعال الرجال . لو انك مخلص لي كما تدعي لما عبثت بي وضحكت علي . طبعا ، هذا عبث وضحك . انني لست طفلة . انا افهم كل شيء والاحظ كل شيء . كان ينبغي لك ان تكون صريحا معي منذ البداية . اليس كذلك ؟ هه ! انك ما تزال تلف وتدور وتلف وتدور . ولكن افعالك هذه لا تنتهي بخاتمة محمودة . هل هذا هو الحب ؟ لا ، الحب شيء اخر . ربما كان الشاب الذي تقدم الى والدي خاطبا يكن لي قلبه من الحب ما لا يكنه قلبك . تضحك ! اتضحك من الصراحة والحق ؟ كم سهرت وارقت وانا افكر فيك . وكم قاسيت من مرارة السخر والاستهزاء التي تذوقتها من كلام والدي حينما وصفاني بالسذاجة والجهل لانني اخلصت لك واملت السعادة والهناء على يديك . لا ، لا . دعني . لا تاخذ يدي بين راحتيك ، انك تعاملني معاملة الرجال للاطفال . تعد ! الا تزال تعدني ؟ هه ! ومتى تفي بوعدك ؟ الله يعلم . قد ينقضي العمر ونحن في هذه الحال . قل لي ، هل انت تعطف علي ام انت تحبني ؟ اتخشى ان يقتلني الياس فتلهيني بالآمال والوعود ، ام تنتظر فرصة للوفاء بوعدك ؟ حسن ! انني امهلك . سنرى هذه المرة . كما تشاء » .

لقد مزق التردد قلبه . لم يدر ماذا يفعل .. انه لا يريد ان يقطع صلته بغادة ولا ان ينفصل عن حياة. كلتا المرأتين تحبه وتضحي بالشيء الكثير من اجله . ولكن حبه موزع عليهما . حياة ربة بيته وشريكته في حياة الاسرة وهي التي تملأ بيته هناء وسلاما وطمانينة . وغادة تلك الفتاة الحسناء الشابة الغضة الاهاب تذكره باول شبابه وبان الدنيا فانية والحياة قصيرة وبانه عليه ان يغتنم الفرصة ويجدد اول شبابه بالتزوج بها . انه حيران لا يدري كيف يتصرف . لقد تعود ان يرى زوجته حياة تروح وتغدو في المنزل وتعنى بولده وبه هو وتكوي ملابسه وتقدم اليه الطعام وتدلله وتنسيه همومه . وقد تعود ايضا ان يلتقي غادة ويبثها غرامه ويتمتع بالنظر الى جمالها الاخاذ والاستماع الى حديثها الشائق . انها تمثل الدنيا في اوج بهجتها وروعتها .

*

عاد حسام الى المنزل في ساعة متاخرة . قضى اوائل الليل وهو يشاهد فيلما غراميا مؤثرا صور فيه الحب اجمل تصوير . وقد ضحى الحبيب فيه بكل شيء في سبيل حبيبته . وحينما خرج حسام من دار السينما شعر انه رأى نفسه يقوم في الفيلم بدور البطل ، متقمصا جسدا غير جسده ، ورأى حبيبته غادة تقوم بدور البطلة متقمصة جسدا غير جسدها .

وحينما دخل المنزل وجد زوجته منهمكة في اعداد الطعام لولدها صبيح . ولم تبد في تلك الساعة نظيفة وجذابة فقد كانت مرتدية مريول المطبخ وفستانا قديما لا يبرز مفاتن جسمها . وكان شعرها مضطربا كانها استيقظت من النوم منذ برهة قصيرة . لذلك ارتد بصر حسام عنها نافرا ، واكتفى بالقاء تحية المساء في فتور ، فردت عليه حياة التحية في ابتسام خفيف مرحبة به .

ثم انه دخل غرفة الاستقبال ، واستلقى على كنبة مستطيلة ، واستسلم الى تفكير في الفيلم الذي شاهده وفي استعادة مناظره في ذهنه . لقد ذكره الفيلم حبيبته غادة واخذ يقارن بينها وبين زوجته ، فبدت له الحبيبة آية من آيات الجمال ، وبدت زوجته بجانبها بعدما وقعت عيناه عليها في المطبخ خادمة لا قيمة لها .

فرغت حياة من اعداد طعام ولدها ، ثم دخلت غرفة الاستقبال وصبيح يتبعها . وجلست بجانب زوجها وهي في لباس العمل ، ثم اشارت الى ولدها قائلة :

ـ انظر الى هذه البدلة التي يرتديها صبيح . هل تدري بكم اشتريتها ؟ فاجاب بلا رغبة :

ـ بكم ؟

ـ بسبعين قرشا . لو انك اشتريتها لدفعت ما يزيد على دينار ثمنا لها . فقطب حسام وقال في غلظة :

ـ وهل انا في نظرك مغفل حتى يضحك الباعة علي ؟

انك تستحقين ضربا مبرحا جزاء لك على وقاحتك .

فابتسمت ابتسامة خفيفة واجابت :

ـ كلا . انني لم اعن ذلك .

لماذا انت عصبي المزاج في هذه الليلة ؟

ـ لا ، لا . انك تستخفين بي دائما .

هذا سوء ادب منك .

فقالت في جد :

## النهـــاية

اريد ان انعب كالغراب
على عكاز شجرة عجوز
وان ابكي كالاطفال
بصوت الرعد .. ودموع المطر ..
اريد ان اشيع العالم
بقهقة السكارى في احشاء الليل
ان اشرب البحار المالحة
وامج الزنخ والصديد
حتى تتفصد عروقي فتنزف الحقد والالم
اريد جناحين صغيرين
كجناحي ذبابة افريقية
لاحوم على تلك المزابل النتنة
التي يرتادها الكلاب والطاعون
وليكن قبري المجهول
في صحراء النسيان والعدم
تهب عليه الرياح الصفر
محملة بالجوع والمرض

كنت عائدا من المقبرة ذات مساء كئيب
احمل صليب آلامي المبرحة

كان حزني عميقا كالبحار
متكاثفا كالغيوم
وتخيلت طيفه وهو يودعني
ذلك الوداع الاخير
كان رائعا كالربيع
نقيا كالمطر .. باسما كالامل
كنت احس بالغربة القاتلة
وانا اجوب العالم برجل واحدة
دون حـــذاء
احمل حطام ذكرياتي التعيسة
وقصة كتبتها على ظهر زورق تائه
في بحر الضباب والصقيع

ايها الفارس العنيد
الذي يهوى بسيف البرق
ويتشح بقوس قزح
ترجل من مركبتك اللازوردية
فقد توقف الزمن

الحسكة ـ سورية      بندر عبد الحميد



ـ هل غادة افسدت بيني وبينك؟ واذن فهذا هو السبب الذي من اجله تاخرت في العودة الى المنزل هذه الليلة . لقد التقيت تلك الفتاة و ...

انك خائن . لست اهلا لان يكون لك زوجة وولد .

فقال في حدة :

ـ اغلقي فمك يا وقحة !

ان غادة خير منك بكثير .

فقطبت وقالت في حدة وهي تنهض من مكانها :

ـ مهما بلغت من الوقاحة فاني لن ابلغ ما بلغته منها .

فنهض حسام يهتز سخطا ، وصفعها على وجهها صفعة مؤلمة اطلقت فمها بالصياح واسالت الدموع من عينيها . فلصق بها صبيح صارخا باكيا وهو يقول :

ـ ماما ! ماما !

فضمت حياة ولدها اليها في حنان ، وراح حسام يتأمل ذلك المنظر الذي يحيط به اطار من الحنان والالم والضعف : حنان الام تجاه طفلها ، والتالم من قسوته هو شريكها في الحياة ، وضعف انوثتها بجانب رجولته . سرح نظره في كفها الذابلة التي امسكت ولده باناملها الخشنة وعروقها البارزة من كثرة الاعمال المنزلية . اثر فيه منظر الامومة ـ الام الحانية على طفلها ، والطفل المتشبث بها كانه التجأ اليها خوفا منه هو لقساوة قلبه . كلاهما صرخ وبكى . كل ذلك بسبب قسوته وغلظته .

خرجت زوجته من الغرفة بحركة عصبية قائلة في سخط :

ـ وحش !

انني لا اطيق رؤية وجهك .

اما هو فانه جلس في مكانه ، واستغرق في تصورات مؤثرة . اخذ يفكر في منزله وفي اثر زوجته في كل ناحية منه وفي اثرها في ولده ـ في جسمه وفي نظافته وترتيب ملابسه . فبدت له غادة كحمامة غريبة عن عشه الزوجي ، وتبين له انه في غنى بزوجته وولده عنها . فهب من مكانه وقد تحول الى كتلة من الشفقة والعطف والحب ، ومضى نحو زوجته ليستعطفها ويترضاها ويضمها الى صدره .

عمان      عبد الحميد الانشاصي

# الى حروفها الخضراء

•

فـؤاد الخشـن

•

احروفها الخضراء
ماذا تحملين ؟
شوقا لشمس الريف ؟
للصحو الذي تتعشقين ...
للزهر ... للانداء لامعة
كماسات صفار
ولزقزقات من عصافير
تعشش في الجدار ...
فــي ظـل قرميد
تسيل عليه اضواء النهار !

ماذا وراء حروفك الخضراء
ماذا تبعثين ؟
اني احس بلونها النامي !
براعـم من حنـين
لثلوج صنين المهفهف ... للكروم
لمياه ساقية
يذيب غناؤها
ليـل الهموم
لصدى هناك ...
لموجة زرقـاء ...
تفرش في الرمال
فيقال منديل ! يطرز ابيضا ...
ويقال شال !



اني اراك الان
من زيف المدينة ، تهربين !
لبساط عشب اخضر تتلمسين ...
ولظل شربـين
يعطرنـا شـذاه
متفتـح الاغصـان
فـي شبه صـلاه ...
ويمد نحو الله ، في لهف ، يديه
لتعود عشتار اليه !

مـاذا ؟
ابعد ضياع جنتنا الحبيبة تدركين
ما ينعش الزهر الحزين
انـي اراك ...
وراء احرفك الشفيفة
ترجعـين
لتـلال وزال ...
لجنـة ياسمين !

# وشائج الفلسفة والعلم

بقلم الدكتور صلاح الدين المحايري

* * *

لا بد من معالجة مظاهر الارتباط المتبادل بين الفلسفة والعلم علاجا وافيا للالمام بالعطاء المتبادل بينهما . فكيف يؤثر كل منهما في الاخر ؟ وما هي الفوائد التي يتبادلانها ؟

فاذا صح ان العلم يعنى بالظواهر ويجرد من شتاتها قوانين ثابتة ودساتير متسقة ، وان الفلسفة تعمل على تفسير هذه الظواهر وتفهم اسرارها الغائية واحاطتها جميعا باطار سحري يؤلف بينها ، كان العلم ينبوعا ثرا تنهل منه الفلسفة جرعات روية وطودا شامخا تبني من صخورها صرحها الباذخ . ولطالما كان الفلاسفة في الماضي يتناسون هـذه الحقائق وينسجـون من تفكيرهم القبلي à priori ـ اي تفكيرهم الذي لا يخضع للمشاهدة والتجربة ـ الهيات فكرية منسجمة تهزأ بالروح العلمي يدعونها ( بفلسفات الطبيعة ) . ومن ابرز الجناة في خلق هذه البلبلة الفكرية المليئة بالمفارقات الفيلسوفان الالمانيان ( هيجل ) و ( شلنك ) اللذان عاشا قبل قرن مضى . والنتيجة الطبيعية التي ترتبت على هذه الحركة اذكاء روح العداء للفلسفة في نفوس العلماء ولا يزال هذا العداء مضطرما في بعض الاوساط العلمية وان كانت بقاياه آخذة بالاندثار تحت عجلات الزمـن المتحرك المتسارع ، لا سيما وفلاسفة الطليعة المعاصرون يقرون بفضل العلم عليهم ويعترفون بسلطانه كما يدفع حافـز الاطلاع وظمأ المعرفة كثيرا من العلماء انفسهم لاكتناه المغزى الفلسفي المنطوي في آثارهم العلمية . وبدهي بعد هذا القول ان نعتبر العالم الذي يرمق الفلسفة بعـين الازدراء عتيقا يعيش من افكاره في اوائل القرن الماضي مهما يكن عصريا في اختصاصه .

وثمة وجه اخر للصلات الواشجـة بين الفرعين والخدمات التي تؤديها الفلسفة للعلوم لا يطيب عـلى الوصف الجلي ، فالفلسفة ليست « جسما تتالف اجزاؤه من النتائج المستندة الى المشاهدة فحسب » ـ على حد قول العلامة بريتمان ـ « بل هي روح او منهج ننفـذ بواسطته الى اسرار التجربة اليومية الحسية » . لا جرم ان مشاهدة الجسم وتقدير ابعاده ايسر بكثير من تحديد آفاق الروح وتركيز عنصرها الاثيري . والعالم العاكف على عمل جزئي صغير وشطر محدود مـن الحقائق والظواهر لا بد ان يحظى بلمحات صوفية هنيئة يندمج فيها بالكون الوسيع اذا توفر على ابحاثه بروح فلسفية طليقة مديدة وان وضع نصب عينيه وحدة المعرفة كلها كحقيقة خطيرة قصوى وانتظمت في مخيلتـه العرى الوثيقة التي تضم العلوم الخاصة في سمط واحد . وهو بذلك يقوم بمحاولات جبارة في حـدود الواقع ولكنها واقعية اروع من المثـال .

لقد انصرفت البشرية عن تفهم اسرار العالم الاصغر ـ الانسان ـ تفهما جذيا وامعنت في دراسة العالم الاكبر ـ الكون الخارجي ـ امعانا فقدت بعده التوازن فكان تقدم الآلية السريع باعثا على البحران الذي ترزح في غماره الحضارة الراهنة وسببا في الغولية alcoholism النفسية ـ ان صح هذا التعبير ـ التي تبدو اعراضها ماثلة في كيان الامم الحديثة المتمدنية . والدواء النوعـي لهذا السقام هو ـ كما يرى اولدس هكسلي في كتابه « غايات ووسائل » صبغ الحقائق المشاهدة بالصبغة الانسانيـة البحتة ودراسة قيمها الخلقية والجمالية الحية ليتالف منها زواجر وقوامع سوية تنقذ البشرية من هـلاك محتوم . وموجز القول فيما جلوناه للقارىء من هذا الوجه ان الفلسفة تكسب العلم سعة وعمقا لا يسبر غوره .

كان نمو العلم والفلسفة في اتجاهين مفترقين مطردا مستمرا في السنين الاخيرة . ولكن هذا التطور الجديد ادى الى ظهور اوضاع طريفة وحدود جديـدة للصلات التي تربط الفلسفة بالعلم وهي تنحصـر في وظائف ثلاث : (١) توحيد النتائج المستمدة من العلوم المختلفة وتنسيقها في منظومة شاملة واحدة (٢) دراسة المناهج المشتركة بين سائر العلوم (٣) تحليل المفاهيم والمصطلحات والفروض الاساسية التي ترتكز اليها العلوم تحليلا نقديا دقيقا . ولنبسط الان ما اوجزناه من النقاط الثلاث :

(١) كل علم من العلوم منحصر في نطاق ضيق لا يتجاوزه، ومع ذلك فالمعرفة بشتى فروعها مترابطة متواشجة ولا بد للفلسفة ان تضطلع بعبء توحيد هذه الفروع جميعها وايجاد نظام دقيق يجمع بين استقلالها وتنسيقها في كل شامل . (٢) لكل علم من العلوم منهج او مناهج ينفـرد بها للعمل في حقله الضيق ولكن هذه العلوم جميعـا تشترك في منهج علمي شامل او طريقة مشتركة للبحث ومهمة الفلسفة في هذا المضمار ان تتوفر على دراسـة هذا المنهج المشترك وصلته بالمناهج الخاصة وتدعى هذه الدراسة الفلسفية « دراسة مناهج العلوم methodology » وهي فرع من فروع المنطق (٣) يستخدم كل علم مـن العلوم مفاهيم ومصطلحات خاصة « كمصطلح الصخور النارية في الجيولوجيا والذاكرة في علم النفس » ويعمل كل علم على صياغة هذه المصطلحات والمفاهيـم صياغة تناسب موضوعه ، ويراقب تطور الكلمات العلمية فـي مدلولاتها ، ولكن ثمة مفاهيم ومصطلحات شاملة مشتركة بين سائر العلوم او بين عدد كبير منهـا ـ كالسبب ، والقانون الطبيعي ، والمادة ، والحياة ، والعقل الخ ـ

ومهمة الفلسفة ان تحللها وتعين حدودها جميعا ، وان تحقق ايضا في الفروض التي يستند اليها العالم في استعمال هذه المفاهيم فتوضحها وتسيغها او ترفضها . فالعلم يفترض مثلا ان النتيجة تعقب السبب وان الحياة مستحيلة دون جسد مادي محسوس ، وقس على ذلك امثالا كثيرة تلهم العالم مفاهيمه ومصطلحاته وفروضه ، ويرى الفيلسوف الانلكيزي برود Broad ان تدعى الوظيفة الثالثة « بالفلسفة النقدية » .

وتتألف « فلسفة العلم » في اصطلاحها الشائع من الوظائف الثلاث التي وصفناها . ويعتقد بعض الفلاسفة الوضعيين وعلى رأسهم برتراند رسل ان الفلسفة التي تتجاوز مهمتها هذه الوظائف الثلاث هي عبث لا طائل فيه . وعندي ان هذه النظرية تنطوي على جانب من الحق وهي جواب طبيعي معقول ضد الفلسفات المثالية الاسطورية التي المحنا اليها ولكنها ضيقة محدودة في مجملها . فثمة معضلات واسرار تتجاوز المشاكل العلمية الصرفة وتدفعنا قصيا الى ما وراء الآفاق التي تجول فيها العلوم مجتمعة وهي معضلات واسرار لا يستطيع الفيلسوف ان يتجاهلها او ينام دونها ، ومنها ما يتناول المعاني والمقاصد والقيم التي تتضمنها الظواهر والحقائق التي اكتشفها العلم ومنها ما يمس طبيعة التجربة الدينية العميقة والشعور الجمالي ( الاستيتكي ) اي الشعور الذي تفيض به جوانح الفنان ومحب الفن والطبيعة .. فالفلسفة في اطارها الشامل ، اذن ، لا تعني بخلق الروابط وتوثيقها بين مختلف العلوم فحسب بل تعمل على ضم جميع انواع التجارب الذاتية والموضوعية في عقد نظيم وتسعى الى ايجاد نظرية كونية واحدة او هي ـ كما يرى (برود) ذات مهمة مزدوجة ، نظرية ونقدية معا .

ونود هنا بدافع الاستقصاء ان نبحث في الفرق بين المعرفة الفلسفية والعلمية وبين معرفة الرجل العادي او رجل الشارع ـ كما يدعوه الفلاسفة ـ وبعبارة اخرى بين الفلسفة والعلم وبين « الادراك المشترك » العادي .

تطرق هربرت سبنسر فيلسوف التطور المعروف الى البحث في هذه الفروق في كتابه « المبادىء الاولى » فرأى ان الاختلاف بين نماذج المعرفة الثلاثة غير جوهري، بل هو اختلاف في درجة توحيدها لما ندركه من العالم « فالادراك المشترك ، او معرفة الرجل العادي ، ادنى انواع المعرفة هي غير موحدة ، والعلم معرفة موحدة توحيدا جزئيا ، اما الفلسفة فمعرفة موحدة توحيدا كاملا » وهذا يدلنا على ان سبنسر كان فيلسوفا وضعيا يحسب الفلسفة طريقة مثلى لانتظام العلوم ونتائجها في تركيب شامل لا يضم في ثناياه تجارب ذاتية يفيض بها الشعور الديني او تصدر عن سبحات النفس المترعة بالجمال . واهم ما يلاحظه القارىء في تحليل سبنسر لنماذج المعرفة الثلاثة تجاهله للفارق الثاني بين الفلسفة والعلم اي الفارق في موقفيهما ازاء الكون ، فالادراك المشترك والعلم والفلسفة ـ في رأيه ـ سواء في النوع والجوهر مختلفة في الدرجة والعرض .

ويطالعنا الاستاذ فلرتون Fullerton بفصل ممتع في كتابه « المدخل الى الفلسفة » يتناول فيه الفوارق التي نحن بصددها . فالعلم ـ في نظره ـ متفق و « الادراك المشترك » العادي في النوع مختلف في الدرجة فقط ، اي الدرجة العالية التي يبلغها من الدقة والكمال والتناسق . اما الفلسفة او « التفكير النظري » ـ كما يدعوها ـ فجوهر مختلف ونظرة مفترقة . وآية ذلك ما تحسه من تعذر الانطلاق وراء عالم التجربة الحية العادية حينما تتوفر على دراسة علم من العلوم وحسبك فيما تفعل ان تمعن في ذلك العالم تدقيقا واستقصاء ولكنك حين تشرع في التفلسف تحلق في جو اخر وترى « العالم الحقيقي الذي نرتع فيه جميعا » يبدو كأنه « آخذ في الانحلال والتلاشي » .

نظرتان مختلفتان اشد الاختلاف ، احداهما تصور لك الفوارق بين نماذج المعرفة الثلاثة جميعها عرضية لا تنفذ الى الجوهر والاخرى تقصر الاشتراك في الجوهر على العلم و « الادراك المشترك » او معرفة الرجل العادي وتحيك للفلسفة نسيجا مختلفا في سداه ولحمته . وللمفكر ان يتساءل بعد ذلك ايهما اقرب الى الصواب ؟ وهل النظرة الحقيقية مباينة لكليهما ؟ واي الفرعين اقرب الى معرفة الرجل العادي او « الادراك المشترك » في نظرهما للعالم . العلم ام الفلسفة ؟. اسئلة ثلاثة تتبادر للذهن المتأمل البصير الذي يشاهد الامور من زوايا مختلفة ويعالجها بروح موضوعي لا تشوبه فكرة سابقة وغرض كامن . ولا ريب ان النظرتين المذكورتين اللتين قررهما سبنسر وفلرتون تتضمنان قدرين جزئيين مختلفين من الحق ، ولكنهما لم تنفذا الى صميم الحقيقة الكاملة. فعالم « الادراك المشترك » عالم الاختبار والمعرفة العاديين لا يقتصر كالعلم على الحقائق والظواهر فحسب بل يتناول القيم والغايات ايضا كما تتناولها الفلسفة وينظر الى العالم في ( كله ) الواقعي المحسوس نظرة الفلسفة اليه . اما العلم فيعمد الى التجريد ويخضع الاشياء في تطورها وحركتها ومختلف مظاهرها الى قوانين آلية بحتة ، ولذا كان موقف الفيلسوف بمجمله اقرب الى موقف الرجل العادي من العالم في تجريده ومقاييسه المصطنعة ، وما الفلسفة ـ كما يرى وليم جيمس ـ سوى محاولة ملحة مستمرة لفهم عالم « الادراك المشترك » .

ان النتائج الفكرية القصوى التي خلصت اليها ابحاث العلم ومكتشفاته لا بد ان تحفز الفيلسوف المتزن الى اعادة النظر في الميراث الفلسفي الضخم الذي خلفته لنا اجيال تغاضت عن عظمة الكون الوسيع ومعجزاته وكانت ترى مظاهر الوجود واسراره جميعا احداثا عرضية

وكينونات فرعية لكينونة الانسان العليا الذي جعلت منه المثالية idealism اسطورة فذة تتلاشى ازاءها ماهيات الخلق واسبابه .

والفيلسوف المثالي الذي ينطوي على نفسه لينهل من ينبوعها الباطني ويستمد منها حقيقة الكون بكامله دون ان يعبأ بالنظر الى ذلك الكون نظرة موضوعية خارجية يستقرؤ فيها آياته وعجائبه ويكبح جماح وساوسه واوهامه يعيش في افيونية فكرية عابثة لا تمت الى هذا العالم بصلة . ولا يضير العلم ان تتطور نتائجه كلما توافرت اسباب البحث وادوات الاختبار وان تتخذ الفلسفة من تلك النتائج المتغيرة مقدمات تدفعها في تيار حركة دائمة لا تعرف الاستقرار . فالحركة المولدة ( الدينامية ) هي ابرز مظاهر الحياة والفكر ، ولو بعث افلاطون وارسطو وابن رشد وديكارت وسبينوزا وغيرهم احياء لصاغوا مناهجهم وفلسفاتهم صوغا جديدا يستمدون عناصره من حقائق العلوم الطبيعية والاحيائية والاجتماعية والنفسية الحديثة . وحسب الفلسفة ان تعمل في هذا الصدد على التآلف التدريجي بين الافكار وبين الحقائق الظاهرة ــ كما يقول ارنست ماخ .

ينعي كثير من الفلاسفة المعاصرين على ( ديكارت ) ثنائيته dualism في المادة والفكر ويعدونه مسؤولاء عن الانحراف الفكري المزمن الذي نعاني اوصابه . «فمبادؤه» كما يقول الفيلسوف هويتهد whitehead « ادت الى خلق متوازيين لا يتلاقيان » يتقابل فيهما الفكر المتأمل والمادة بطبيعتها الآلية ، فكان هذا باعثا على اتجاه العلم والفلسفة في طريقين مفترقين في ختام القرن السابع عشر ، انصرف بعده العلم الى البحث في الطبيعة المادية وعكفت الفلسفة على اكتناه حقيقة العقل المتأمل . واذا كانت المدارس المثالية المختلفة قد ذهبت في تطرفها كل مذهب فتراءت لها الطبيعة نموذجا فذا ونسخة من تأملات الذهن فان جميع المدارس الفلسفية الاخرى وافقت على منهج التحليل الكارتيزي ــ نسبة الى ديكارت ــ لعناصر الطبيعة الاولى . فالفلسفة التي كانت تعنى بالذهن المتأمل دون غيره ظلت غريبة عن العلم خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ولكنها ــ كما يقول ( هويتهد ) المذكور ــ « اخذت تعود عودا وئيدا الى اهميتها القديمة بعد ظهور علم النفس المرتكز الى علم وظائف الاعضاء ( الفيسيولوجيا ) . » .

لا جرم ان الحدود التي يلتقي فيها العلم بالفلسفة ليلقي اليها بنتائجه فتتخذ منها مقدمات لتأملاتها ومناهجها هي المركز الحيوي في عالم الفكر المعاصر .

فمبدأ السببية ، مثلا ، كان باعثا على فيض من الرسائل والبحوث الدقيقة الماتعة وهو ــ في نطاق العلم ــ لا يتدثر بسجف الوهم ولا يتعلق بطلاسم السحر . فكل مجموعة من الحوادث تعقبها مجموعة اخرى ندعو اولاها ( بالاسباب ) واخراها ( بالنتائج ) وهي مترابطة متلاحقة لا تنفصم عراها ، وليس هناك ما يسوغ للفلسفة الحديثة ان تبدد جهودها في اتجاه مغاير لا تجاه العلم في هذا الصدد ، ما دامت الاسس التي يقوم عليها مبدأ ( السببية ) راسخة ، وما دامت آراء بعض الفيزيائيين في تقلقلها ــ امثال (ادنكتون) و ( بوهر ) وغيرهما ــ فرضيات واهية لم تثبت على البحث الجدي والتجربة الدقيقة . فالطبيعة متسقة في مناهجها ، منسجمة في حوادثها ، لا تعرف الصدفة العابرة والظاهرة الناشزة والاسباب المتماثلة لا بد ان تعقبها نتائج متماثلة .

ومبدأ التطور من النظريات العلمية التي تكسب الفلسفة سعة في النظر ويدفعها الى تنقيح مثالياتها القديمة الممتزجة بالاساطير . فالعلماء الاحيائيون ( البيولوجيون ) وغيرهم متفقون على صحة هذا المبدأ وان لم يجمعوا على قبول ناموس الانتخاب الطبيعي سبيلا له . وبات الانسان وعقله في الذروة المتطورة بين سلسلة من الادوات الابتدائية للادراك في الوف وملايين الاحياء .

ومن النتائج العلمية التي احدثت انقلابا رائعا في مجرى الفكر الفلسفي الوحدة الزمنية المكانية او قضية ( الزمكان ) . فالنقاش المنظم الذي كان يدور حول طبيعة الزمن المطلق وصلاته بالمكان المطلق بل الميتافيزياء التي تبحث في الديمومة المجردة قد ذهبت بددا ، وبات من العبث الفارغ النظر الى الزمن والمكان كوعائين مستقلين يرتبطان بالتوازي فقط .

وقد دل بناء الذرة على ان باطن الاشياء يزخر بالحركة الدائمة ، ففي صميمها تقوم وحدات كهربائية شتى تتحرك دون انقطاع بعدد من الذبذبات لا تحيط به المخيلة ، وقد يتراءى لنا جلمود الصخر في قمة الجبل ساكنا ثابتا لم يتبدل منذ ملايين السنين ، ولو امتد بصرنا الى باطنه لعرفنا بأن مادته متحركة متغيرة لا تثبت على حال ولو جزءا من مليون في الثانية .

فالحركة قوام الوجود المادي ، وهي تعني بأن شيئا حادثا في زمن معين يملأ مكانا معينا ويملأ في زمن اخر مكانا اخر ، ولا يمكن للمرء ابدا ان يتصور حدوث حركة في مكان او زمن مستقلين لان فصلهما يؤدي الى تلاشي الحركة والوجود نفسه . ونحن حين نقسم المكان او المدى الى قراريط وامتار وافدنة او الزمن الى سنين وايام ودقائق وثواني انما نقيم ركائز وهمية نستعين بها على قضاء حاجاتنا وليس لهذه الركائز وجود واقعي في طبيعة الكون او قيمة في بحوث الفلسفة لان الفلسفة لا تعنى بالاقيسة المنطقية المعقدة عنايتها بالكون الحقيقي. وفكرة ( الزمكان ) او الوحدة الزمنية المكانية هي الدعامة الوحيدة التي يمكن ان يرتكز اليها التأمل الفلسفي الجديد في هذه الحال .

والى القارىء مثلا يوضح ما ذهبنا اليه من القول:

# دمعة على طاهر الطناحي

كان اخر كتاب الفه المرحوم طاهر احمدالطناحي محرر « الهلال » المعروف هو كتاب « ساعات من حياتي » كما كان اخر مقال كتبه هو مقاله المنصف عن كتابي « فن الترجمة في الادب العربي » الذي نشرتهمجلة « الاديب » في عدد مارس سنة ١٩٦٧ ... وفي يوم الجمعة ١٤ ابريل سنة١٩٦٧ لفظ طاهر الطناحي انفاسه الاخيرة، فاضاف بهذا فصلا جديدا الى كتابه الممتع« الساعات الاخيرة » الذي صدر - غير بعيد - عن دار الهلال ، مع تقديم كريم من المرحوم عباس محمود العقاد ...

وهذه الدمعة الحرى هي بعض الوفاءلهذا الاديب العربي الكبير ...

| | |
|---|---|
| جلل الحزن مسائي وصباحي | حينما شمسك مالت للرواح |
| نبأ قد طلع الصبح به | قبل ان ابدأ اليوم كفاحي |
| شهد الله لقد اذهلني | ذلك النعي على نور الصباح |
| اانا في حلم ام يقظة | اانا في رقدة ام انا صاحي ؟! |
| نعيك الباكر اوهى جلدي | فانثنى عزمي ، ولم ينهض جناحي |
| قلت للناعي الذي باكرني | يوم منعاك : لقد هجت جراحي |
| انا في معركة الدهر فتى | واهن العدة ، مخذول السلاح |
| نحت ايامي ... وغنيت ، فلا | نفع الشدو ، ولا اجدى نواحي ! |
| فتقبلت الليالي مرغما | راضيا منهن بالحظ المتاح |

| | |
|---|---|
| ايها الطاهر لم اعهد به | دنسا في جده او في المزاح |
| أي آثارك لم نفخر به | في الاساليب المضيئات الفصاح ؟ |
| كتب كالروض في اشراقه | ومقالات وضاء كالاقاحي |
| وبيان سائغ ، سمح ، كما | خصك الله بلطف ، وسماح |
| « الهلال » اليوم كم درت به | حافل الموكب ، منصور الوشاح |
| ترسل الفكر على كل مدى | وتؤديه الى كل البطاح |
| موعد في الشهر لا تخلفه | دائب الرحلة ، موصول النجاح |
| ايها الهامد ! ما عودتنا | عثرة السعي ، ولا كبو الطماح |
| ايها الصامت في القبر اتئد ! | ما عهدناك صموتا «يا طناحي» !! |

القاهرة — محمد عبد الغني حسن

اقيمت مساء الخميس حفلة موسيقية كبرى في بيروت حضرها نخبة من هواة الموسيقى . فبيروت مكان ينتمي الى طبقة معينة من الظروف ، والخميس زمان يدخل في عداد ظروف أخرى مختلفة . ولكن الحفلةالموسيقية اقيمت في بيروت كما كانت حالتها مساء الخميس ، وهي حالة متبدلة غير مستقرة وليس من الممكن ان تقام الحفلة في بيروت غير مقترنة بزمن معين ولا ان تقام مساء الخميس دون مكان محدود ، فالظرفان مندمجان متصلان لا سبيل الى انفكاكهما وليس ثمة ديمومة لا تقترن بشيء بدوم . والفلكي يستطيع بأجهزته الحديثة ان يحدد بالتوقيت النجمي الدقيق زمن الحفلة والمكان الذي كانت تشغله الارض والشمس والنجوم آنئذ في الكون الوسيع ، وهي حادث زمني مكاني فذ في تاريخه.

هذه امثال قليلة نوردها شواهد على الروابط الوثيقة بين العلم والفلسفة ، قوامها امومة اصيلة ونبوة نيرة خيرة يفتح التواشج بينهما آفاقا مديدة قد تهتدي اليها البصيرة ويضل البصر .

دمشق — صلاح الدين المحايري

# هشام المؤيد

بقلم الدكتور فؤاد جبور حداد
من « العروة الوثقى » في لندن

***

يقف الدارس للادب والتاريخ الاندلسي عند هشام المؤيد لينعم النظر ويراجع فكره فيما قرأ . وهو يفعل ذلك كما يفعل الانسان الذي لا يصدق ما يقرأ لشدة غرابته فيراجع فكره فيه ويقلب الصفحات السابقة عساه ان يكون قد اساء الفهم او فاتت عليه امور مهمة قد سها عنها . ولكن لا تلبث الغرابة ان تزداد عندما يوقن الدارس انه لم يفت عليه امر مهم ولم يسه عن شيء وانما الحقيقة هي بحد ذاتها حقيقة غريبة مدهشة .

هكذا كان حالي وانا ادرس حياة هذا الخليفة الاندلسي . اما انه خليفة فذلك ما لا شك فيه فقد كان له لقب الخليفة مدة تزيد على ثلاثة وثلاثين عاما . وكان يدعى له من على المنابر ايام الجمعة وتسك باسمه النقود . ولكن لم يكن له غير الاسم من الخلافة شيء . واول ما يلفت النظر انه كان اول خليفة بويع بالخلافة وهو في التاسعة من عمره ويقول ابن حيان وهو في الثانية عشرة ويقول ابن خلدون « دون ان يناهز الحلم » ويتساءل الدارس ما الذي دعا الى ذلك واستوجبه ؟ ان ادارة الحكم في الاندلس تصعب حتى على الرجال الدهاة فكيف الحال مع صبي لم يناهز الحلم . وكيف يقوم والده « الحكم » المستنصر وهو الخليفة القدير المحنك صاحب اكبر مكتبة عرفتها الاندلس في قرطبة بتسليم زمام البلاد الى صبي صغير ؟. وكيف لم ير ان عمله هذا عمل غير معقول . فهذا « المغيرة » « اخو الحكم » كان من اعلام البلاد دراية وحنكة ولا شك ان بني مروان كانوا « اقمار الدجى » ولا يصعب على الخليفة « الحكم » ان يجد بينهم رجلا يواصل ذلك العصر الذهبي الذي كانت ترفل فيه البلاد ايام حكم والده « عبد الرحمن الناصر » وقد وصف احد الشعراء ما كانت عليه الاندلس آنذاك من رخاء وهناء فقال :

**ومن عبد شمس في المغارب عصبة … فاسعدها الرحمن حيث احلها**
**دحا تحتها مهدا من العز آمنا … ومد جناحا فوقها فاظلها**

ثم نحن لا نسمع عن اولاد الخليفة « الحكم » غير هشام شيئا . لقد طالت مدة خلافة « الحكم » ست عشرة سنة . وكان الخلفاء يتزوجون كثيرا ويتسرون كثيرا ، افليس من المعقول ان يكون للخليفة « الحكم » اولاد غير هشام وحتى اكبر منه سنا ، فلماذا لم يصلنا شيء من اخبارهم ؟

قد يكون الجواب على كل هذه الاسئلة يكمن في عبارة شائعة تقول «فتش عن المراة» ولا يطول بنا التفتيش في هذا المجال . انها « صبح » امراة الخليفة « الحكم » وام هشام . كانت صبح من نساء الاسبان «الباشكنس» اي من بلاد « الباسك » وهي منطقة تقع على الحدود بين فرنسا واسبانيا على جبال « البرانس » ويقال ان نساء الباشكنس من اجمل نساء العالم . وقد جيء بهذه المراة سبية الى قرطبة فدخلت في خدمة القصر واحبها الحكم فتزوجها وما لبثت ان ولدت له هشاما . وكانت لصبح شخصية قوية وكان الخليفة «الحكم» في اواخر ايامه مفلوجا لا يفارق فراشه واكبر الظن انه فقد ايضا قدرا كبيرا من قدرته الذهنية السابقة وغدت « صبح » القوة المحركة في القصر آنذاك . وكانت تروج الشائعات في قرطبة ان صبحا تحب كاتبا بسيطا في القصر اسمه محمد بن ابي عامر . ولكن « المقرى » صاحب كتاب « النفح » يستبعد هذا الاحتمال ويقول انها شائعات غير صحيحة. ولكن لا شك ان الشائعات كانت كثيرة ومنتشرة والا فان « المقرى » لم يكن ليتعرض الى نفيها . وتدل الاحداث التي وقعت بعد ذلك على ان نصيب تلك الشائعات من الصحة كبير جدا . والا فكيف استطاع ابن ابي عامر ان ينتقل في امد قصير من كاتب بسيط الى الحاكم المطلق في جميع بلاد الاندلس بما في ذلك جليقية في الشمال وبلاد البرتغال في الغرب ولقب نفسه بالمنصور ، اما هشام خليفة البلاد الشرعي فهذا وصف لحاله كما ورد في « نفح الطيب » :

« حجر المنصور بن ابي عامر هشام المؤيد بحيث لم يره احد منذ ولي الحجاجة وربما اركبه بعد سنين وجعل عليه برنسا وعلى جواربه مثل ذلك لئلا يعرف منهن . وكان يأمر ان ينحي الناس من طريقه حتى ينتهي المؤيد الى موضع تنزهه ثم يعود . وكان المنصور اذا سافر وكل بالمؤيد من يفعل ذلك معه . وبقي هشام مهجور الفناء معجوز الغناء خفي الذكر عليل الفكر مسدود الباب محجوب الشخص عن الاحباب لا يراه خاص ولا عام ولا يخاف من باس ولا يرجى منه انعام . ولبس المنصور ابهته وطمس بهجته واغنى الناس عنه وازال اطماعهم منه وصيرهم لا يعرفونه وامرهم ان لا يذكرونه . »

وقد تساءل الناس آنذاك مع الشاعر الذي قال :

**ابني امية اين اقمار الدجى … منكم واين نجومها والكوكب**
**غابت اسود منكم عن غابها … فلذاك حاز الملك هذا الثعلب**

فماذا جرى لبني امية ، واين ذهبت رجالات بني مروان . قبلوا ان يؤول ملكهم في الاندلس الى هذا المصير الاليم ؟ ولعل الجواب على هذا السؤال هو ان المنصور كان يقتل كل من كان يخشاه من بني امية خوفا من ان يثوروا به . وتقول بعض المراجع « انه كان يظهر انه يفعل ذلك شفقة على المؤيد حتى افنى من كان يصلح

منهم للولاية ثم فرق باقيهم في البلاد وادخلهم زوايا الخمول عارين من الطراف والتلاد وربما هرب بعضهم فسكن البادية . »

وتمر خمس وعشرون سنة والحال على هذا المنوال بقي فيها هشام يعيش على هامش الحياة دون ان يعبأ به احد او يقيم له وزنا . اما الملك الحقيقي فقد كان للمنصور بن ابي عامر يخاطبه الناس بلقب الملك ويتصرف بالدولة كما يشاء وقال شاعر على لسان هشام :

**اليس من العجائب ان مثلي يرى ما قل ممتنعا عليه**
**وتملك باسمه الدنيا جميعا وما من ذلك شيء في يديه**

وكان بنو مروان يأملون ان يعود الحكم الفعلي الى هشام بعد موت المنصور ولكن المنصور ترك الامر الى ابنه عبد الملك الذي حكم ست سنوات اخرى فقام بمهمتي الوصاية والحجابة مع انه كان اصغر سنا من هشام ، وفي تلك السنوات لم يتغير شيء مما كان واستمر كل شيء على ما كان عليه من قبل . اما عبد الرحمن الذي ولي الامر بعد اخيه « عبد الملك » فقد تجرأ على هشام اكثر حتى من تجرؤ ابيه واخيه . فاراد ان يكتب اليه هشام بولاية العهد من بعده وانصاع هشام كالمعتاد وكتب له بما اراد . ولكن عبد الرحمن هذا لم يكن من معدن ابيه المنصور او اخيه عبد الملك والا فقد كان المستبعد ان ينجح في نقل الحكم اسما وفعلا من بني امية الى بني عامر .

وهنا يثور الامويون ويتزعم الثورة رجل اموي يتلقب بالمهتدي فيقتلون عبد الرحمن ويستولون على قرطبة . واول ما يتبادر الى الذهن في هذا المقام هو ان يفرح هشام بما حدث وان تنفرج ازمته وان يتربع اخيرا على عرش آبائه ولكن الامويين كانوا قد يئسوا من هشام فخلفه المهدي واعلن بعد ذلك انه مات واحضر جثة تشبه جثته واشهد على الوفاة بعض الفقهاء ورجال القصر وكان من بينهم الوزير ابن حزم وابنه الاديب المشهور . وتشييع الجنازة المزورة لهشام وهو ما يزال حيا يرزق اذ كان المهدي قد سجنه في مكان خفي . وتمر سنة بعد ذلك يموت بعدها المهدي مقتولا ويخرج هشام من سجنه ليحكم البلاد حكما صحيحا فقد كانت الاندلس آنذاك تغلى غليانا بالفتن والمؤامرات . وكان هشام في حالته تلك اشبه بالطائر الذي حبس في قفص من ذهب طول حياته ثم لم يلبث ان وجد نفسه حرا طليقا في ليلة مظلمة شديدة العواصف . ولكن ما فائدة ذلك وهو عاجز عن الطيران في مثل هذا الجو والظروف العسيرة ، لقد اعتاد هشام على حياة الدعة والخمول والاتكال على الاخرين واكبر الظن انه كان ايضا على شيء من التأخر العقلي . ويظهر بعد ذلك اموي يتلقب بالمستعين فيحتل قرطبة ويضع هشاما في السجن مرة اخرى . وفي هذه الفترة يختفي ولا يظهر بعدها على الاطلاق . وهنا تروج الشائعات في الاندلس فمنها ان المستعين قتله سرا ومنها ما يقول انه سجنه ففر من سجنه الى المشرق . ومهما كان الحال فنحن نعرف ان هشاما كان يتوقع القتل على يد المستعين وقد عز عليه ان يموت مقتولا دون ان يأخذ احد بثاره . فهو وان جار عليه الزمان لا يزال خليفة البلاد الشرعي وسليل اعظم خلفاء عرفتهم الاندلس . ورأى هشام ان الامويين لا يضمرون له خيرا وليس له في صفوفهم انصار . ولا عجب في ذلك فهشام هو المسؤول الاول عن ضياع ملك بني امية فالى من يتحول وبمن يستجير ؟ ولعل احساسه بقرب الموت قد شحذ عزيمته وهذا ما فعله كما ورد في الذخيرة لابن بسام : «كان هشام يشتغل بالملاحم « اي التنجيم » فوقف على ان دولة بني امية ستنقرض في الاندلس على يد علوي اول اسمه عين . فلما دخل المستعين قرطبة كان من الامراء في جيشه ( علي بن حمود )وهو من ابناء علي بن ادريس الذي يتصل نسبه بعلي بن ابي طالب . وبلغ هشاما خبره واسمه فدس اليه ان الدولة صائرة اليك وقال له ان خاطري يحدثني ان هذا الرجل يقتلني يعني سليمان فان فعل فخذ بثاري .وكان هذا الامر هو الذي قوى نفس ابن حمود على طلب الخلافة .ويدخل ابن حمود قرطبة ويقتل المستعين واباه وابنه ويضع رؤوسهم في صحن ويعلن في الاندلس انه فعل ذلك ثأرا لهشام الذي اعطاه ولاية العهد من بعده . »

تلك هي قصة هشام المؤيد ، قصة رجل مستضعف مسكين ، او هي بالاحرى قصة امه « صبح » التي ضحت من اجل حبها لابن ابي عامر بملك زوجها وعقل ابنها وسعادته ، او هي قصة ابن ابي عامر الذي لم يجعل اي اعتبار لانسان او حق من الحقوق يحول بينه وبين طموحه في كل شيء .

ومهما كان الحال فهي بلا شك قصة انهيار ذلك الصرح الشامخ الذي شاده العرب في اسبانيا فمنذ ذلك الحين ذهبت ادراج الرياح وحدة البلاد السياسية وانقسمت الدولة الى طوائف وما لبث البرابرة اللمتويون والصنهاجيون ان تولوا زمام البلاد فانتقل الامر الى المرابطين ثم الموحدين ولم تقم للعرب قائمة بعد ذلك في الاندلس .

ومن الطريف انه عاش في مدة « خلافة » هشام ذلك الرعيل الاول من ادباء الاندلس الاصليين امثال ابن حزم والقسطلي والرمادي وابن شهيد وغيرهم وقد وصل الادب الاندلسي في عصرهم ذروة عالية من التقدم والاصالة

وهنا في نهاية هذه القصة المحزنة نقف متأملين ومعتبرين ، فاهم ما يلفت النظر في قصة هشام هو عظم الخطر الذي كان لشخصية الخليفة على مجرى الامور . فاذا كان الخليفة حازما عاقلا قديرا نعمت البلاد في عهده برخاء واستقرار وازدهار اما اذا كان

# البرق

اعلامه النيران تصطفق ... في شاسع وهنا وتأتلق
عصفت غواربه مجلجلة ... بغوارب للنار تحترق
وذكت مشاعله مشعشعة ... انوارها وكانها الشفق
من دونه تجد السحاب دجت ... اسجافه وكانه طبق
يجري الغمامالعمر دون هدى ... متعثرا حينا وينزلق
واذا الرياح حدت به نزفت ... حدق له واستعبرت حدق
والبرق يبسم عن لآلئه ... في جنح ليل حشوه القلق

☆ ☆ ☆

للبرق دون الافق اجنحة ... في كل ميدان لها سبق
ضرب الفضاء محلقا وجرى ... بمعارج ليست لها طرق
فاعاد للاذهان ثانية ... غطة (البراق) وقد دجا الفسق
صور من الاسراء ماثلة ... تجلى معالمها وتنبثق
وكان لمع البرق حين ذكا ... من نار سيناء له الق
طويت له الآفاق وانتظمت ... فكانها بيمينه وهق
يسري بلا قدم ومن عجب ... بلغ المدى والخطو متسق



☆ ☆ ☆

سطعت غواربه بمؤتلق ... من مارج يطفى ويندلق
وشراعه في كل منعرج ... يطوى وينشر وهو يصطفق
ما زال يومض خلف غاشية ... كادت بغرب لظاه تحترق
وتراه يضرب في معارجه ... بجناح نسر حين ينطلق
زاغت له الابصار من جزع ... لما استجد وعادها الارق
والرعد يجار كالطعين شجي ... تعلو زمازمه ويختنق
والارضفيسنة النزيف غفت ... لكنما اغفاؤها الارق

دمشق

عدنان مردم بك

ضعيفا مثل هشام فان البلاد باسرها وكل ما فيها من اناس ومصالح سياسية واجتماعية تتاخر وتبوء الى البوار . فقد كانت كل اعنة الحكم وكل مرافق الحياة موضوعة في يد رجل واحد. ومن المؤسف اننا في تاريخنا الطويل لم نهتد الى نظام من الحكم يكون له ثقل خاص به يبقيه بمعزل عن تفاوت الشخصيات الحاكمة من حيث الكفاءة والمقدرة والاخلاص .

وختاما نقول ما كان المؤرخون العرب يقولونه كلما سقطت قلعة عربية في يد الاسبان « والله وارث الارض وما عليها وهو خير الوارثين » .

لندن

فؤاد جبور حداد

# الغـريب وشـجرة الارز

مهداة الى الدكتور كمـال اليازجي

بقلم فرنك كيريوبوليس

ترجمة الدكتور انطوان غطاس كرم

في ساعة الرحيل ،
نظـر الفريب الوحيد الى سفينته
وتســاءل :
« امن خشب صنعت جميع اشجار الارز ؟ ؟
فرددت التلال رجع الصدى يقول :
« لا ! لا ! لا يكون ذلك في وطن الارز »
فعلى هذه الشطآن ، منذ آلاف السنين ، وجد
الانسان منطلقا ، ذات يوم ، فانطلق .

ودارت الشموس
ودارت الاقمار ،
وتدور في جنون ، تسوقها الغاية المغيبة .
وتكثر الغرباء ، تكثروا يغدقون المعونة ،
ولم يكن فيهم
رجـل صـادق !
وكان ان شخص من عتمة الغسق وجه صغير .
وسمعت صوتا من فمه يقول :
« اليازجي سميت »

وعادت الى البال سراعـا
تلك الالفـة الدافئة من بـلادي
القصية ، وعاد الي خلاني الذين احببت .
وسمعته برفق يقول :
« لكان يحسن ان تبرق لي . »
كلمات وقعت كتراجيع الفراغ ،
او كظـلال الزمن الغابر .
وصارت الاميال اياما .
وها انذا عن دار اهلي بعيد : وبيننا ثمانية
الف يـوم .
كل شيء كان غائما مبهمـا في نفسي
حتى هذا الرجل ، هذا الرجل الرفيق .

ثم قال لي :
«الا زرتنا. فاكلت من خبزنا. وشربت منخمرنا» ؟
وهل يمتنع الغريـب الوحيد ؟
فسرنا نحو التلال الخضر من جبل لبنان !

واستوقفنا الجمال الربيعي
وذهلنا امام الروعة الزرقاء .
وتنسمنا مرة او مرتين .

وكان الغريب الوحيد كئيبا
وبدا لعينيه في قلب الجمال وجه سمح .
هي ارزة من ارز لبنان
لم تكن من خشب الارز ،
هي ارزة انسان ، صيغت من حب ومن تحنان .
وسبر الغريب الوحيد ،
سبر اعماق الارزة الانسان :
وفيها دارت الليالي ، وفيها دارت الايام
وفيها الكآبة ، وفيها الفرح
وفيها هذا التناقض في راحة السلام .

وسمع الغريب من ضميره ناطقا يقول :
« ما ارفقه اذ ياكل
« ما اصفاه اذ يتصرف
« ما ارقه اذ يعتني ! »

تناثرت ورقات راسه ،
وملء عينيه ملامح الشباب .
لا ! ما هي ملامح الشباب ،
وانما هو ضياء المحبة .
والتفت الغريب الوحيد الى يدي الشيخ .
يدان ثابتتان . هداية للعائلة .
باحمال الكتب مثقلتان
بخواطر الاقلام .
بحب عميق ، تعملان ،
في خدمة الفكر تعملان .

وسالت الارزة في اناتها العجيبة ،
تقول للغريب
« اتشتهي القهوة »
فاجاب الغريب : « بطيبة خاطر »

# مطلق عبد الخالق

بقلم البدوي الملثم

* * *

في الناصرة الرابضة على هضاب الجليل ولد « مطلق » عام ١٩١٠ وانهى دراسته الابتدائية وكان الاول في صفه ثم التحق ب ( كلية روضة المعارف ) بالقدس ونال شهادتهـا الثانوية بتفوق ، ونزح الى حيفا ليعمل في مجال فسيح وداب على المطالعة فكان « دودة كتب » وظهرت مواهب شاعريته وله من العمر ستة عشر ربيعا .

استهل مطلق حياته العملية وهو في سن العشرين واول عمله زاوله في حيفا مجلة كشفية اصدرها باسم « كشافة الصحراء » ثم حرر في جريدة « اليرموك » (١) فمحررا في « النفير » (٢) فموظفا في البنك العربي بحيفا فسكرتيرا لجريدة « الصراط المستقيم » (٣) في يافا فمحررا ومراسلا لجريدة « الدفاع » (٤) اليافية في حيفا وكان من مؤسسي « رابطة الشبيبة العربية » في حيفا .

وفي عهد دراسته الثانوية وخروجه الى ميدان العمل قرض الشعر ونشره في الصحف والمجلات الفلسطينية والقاه امسيات في النوادي والجمعيات الوطنية ، وفي سائر الاعمال التي اضطلع بها كان مثلا اعلى للشاب المهذب والوطني المؤمن ، وتعشم الذين زاملوا هذا الشاب النابغ له مستقبلا باهرا في دنيا ( عبقر ) .

مصرع البلبل : وفي التاسع من تشرين الثاني ١٩٣٧ قصد « مطلق » منزل المحامي المرحوم وديع البستاني في حيفا سعيا وراء الافراج عن عشرات المعتقلين العرب في مخيم المزرعة بعكا وعندما حاول السائق اجتياز سكة الحديد لدخول منزل البستاني اصطدم بقطار يافا عند منعطف هناك فتهشمت السيارة وحطمت اضلاع مطلق وعند توقف القطار حمل سائقه الضحية الى المستشفى الحكومي بحيفا وهناك بدا له ان ضحيته كان الشاعر ابن عمه فانتابه عارض من الجنون وفي اليوم التالي نقل جثمانه الى الناصرة ودفن هناك ونعت الاذاعة الفلسطينية زين الشباب بما يستحق ادبه الرفيع من اطراء وخلقه السامي من ثناء .

وقبل ان يلحق الهزار المنتحر بربه ، وهو في شرخ الشباب وغض الاهاب ، كان يقول لاخوانه : « ان القضاء القاسي لسوف يحول بيني وبين آمالي ويبعدني عن محبي طويلا ! » وكثيرا ما حدث جلاسه عن تفاهة الحياة ولذة الضجعة الاخيرة وكان ينشدهم قوله :

انا ما كنت في حياتي شقيا     بل سعيدا تحفني نعماء
ساخر هازل أمر مرورا     بحياة الفاظهـا جوفاء
وجهتي الله والسماء طلابي     وكذا الموت غادتي الغيداء

وبعد مصرع البلبل عثر بين اوراق اودعها جيبه على ورقة صغيرة كتب عليها بخط يده :

« مساء الخميس ٢٣-٩-٣٧ ، انا الان في غرفة ... والساعة الخامسة والدقيقة ١٥ ، افكر في مبهمات الحياة ، واقايس بين ما غبر وبين ما انا عليه في ساعتي هذه وبين ما سيأتي .

ايها القدر القاسي ! ترى ماذا تخبىء لي في القريب بين طياتك ؟ » .

وقبل ان يفارق الشاعر الحياة الدنيا صور ضجعته الابدية بقوله :

اغمض الشاعر عينيه ونام     فاستراح
نومه نوم سكون وسلام     وارتياح
اذ نسي في نومه كل الانام     والكفاح
سرق النور دجى الليل فقام     في الصباح
فاذا النور ظلام

فكر الشاعر في هذي الحياة     وتأمل
وسعى يطلب للنفس النجاة     وتسلل
فاذا الآمال شك واشتباه     فتحمل
ومضى في سير ... خارت قواه     فتململ
وتمنى ان ينام

وصل الشاعر شطئان الوجود     فتحير
اذ رأى البحر تغشاه الخمود     وتعكر
سكن البحر فهل يحلو القعود     وتفكر
ونوى الخوض وقد عاف الجمود     فتذكر
رهبة الموت الزؤام

نظر الشاعر في لون السماء     فتبين
زرقة تخلب لب الشعـرا     اذ تزين
واذا بالغيم قد غطى الفضاء     وتكون
فبكى في الحال حظ البؤساء     وتحين
ساعة فيها ينام

كدر الجو وتكدير البحار     حيراه
فمشى بين صعود وانحدار     ثم تاه
عجبا يسعى فيلقى الانحدار     ما دهاه ؟
شارف الشاعر حد الاحتضار     من يراه ؟
ضاع في لج الظلام

عاود الشاعر طيف الذكريات     فاراع
وبدا اسود يحكي الظلمات     في البقاع
ليت شعري ! ما مضى ما هو آت؟     ارتياع
ضاع عمري في الاسى والحسرات     يا ضياع
شاعر ضل وهام

فكر الشاعر في الامر وساح     في الفضاء
وانتحى ناحية الافق وراح     ثم جاء
وعلى شاطىء بحر البؤس صاح     يا سماء !
امنحي عبد القادير السماح     والرضاء
جاوز الطبي الحزام

كان مطلق رحمه الله ذا بصيرة نيرة تستشف الحجب فكان يرى الدنيا على حقيقتها العارية بلا زخرف يخدع الكثيرين ويموه عليهم فيجترحون الموبقات والآثام في سبيل عرض زائل لذا كان يحتقر الاباطيل ويسمو فوقها ويصيح بالناس :

اسرار هذي الحياة مغلقة     في الجد مهذارة وفي اللعب
انا نلاقي الهناء في حزن     كما نلاقي الهناء في طرب
والدهر تلهو بنا حوادثه     ونحن فيه نغوص في ريب
واحسرتا للانام من ضحك     ينم مثل البكاء عن نصب

وغذ الشاعر مسيره الى السماء ولحق بربه ساخطا على الدنيا واناسيها وحلق الى الملا الاعلى وهو ينشد الناس :

بني الناس ! دنياكم جيفة     وليس على ارضكم ما يسر !

اربعون الشاعر : وفي الثاني من كانون الثاني ١٩٣٨ اقيمت في الناصرة حفلة تأبين جامعة شهدها العشرات من رجال القلم والوطنية والاقتصاد ورثاه صديقه الشاعر الملهم وديع البستاني بقصيدة من عيون الشعر وقد صور فيها خلجات نفسه الملتاعة :

يا مطلق ـ الامة في اسرها ـ     وكلها يبكي معي ( مطلقا )

ان تسل لا تسلو فتى خالدا / ولست اسلوك انا مطلقا
وكيف اسلوك وبي لوعة / القى بها المغرب والمشرقا !
انا ببابي اللقا واقف / وانت بالباب وعز اللقا
ودونه فرق ما بيننا / مفرق لم يدر من فرقا
يا وقفتي في الحي وحدي ارى / وما ارى والحزن بي احدقا
اسال (ليلى) (٥) يا ترى ما جرى؟ / تبكي وما تملك ان تنطقا
وجبل الكرمل يبكي معي / والبحر يذكي وجدي المحرقا
ونحن كنا اثنين في واحد / اوثقنا الله بحبل الشقا
وانت قد اطلقت يا ( مطلق ) / وبت وحدي بالشقا موثقا
تحمل هم الاسر حريتي / ويعتق العبد ولن اعتقا !
وانت سلني عن ابيك الذي / اودى به خطبك لولا التقى
يقول ، صبرا يا اخا مطلق / ما كنت مني بالبكا اخلقا !
قضاؤه في الخلق لكنه / مثلك يا ( مطلق ) لن يخلقا
ولا تسلني عن اخيك (٦) الذي / كنت عليه الواله المشفقا
لا لا تسلني كيف قلنا انه : / « اطلقت يا صبحي! » وما صدقا
كذبنا حتى راى وارتمى / في النعش يبغي بك ان يلحقا
ما مزق الاكفان لكنه / احشاءه في صدره مزقا
وأراك وانصاع الى سجنه / حتى يراه بالاسى اضيقا
وان تسل عن حالها امة / سلني يجبك الطرف مغرورقا
ما زادها الميدان في دارها / الا دما في عفرها مهرقا
ونم قرير العين واترك لنا / ما اسهد العين وما ارقا
نحن فدى الامة في اسرها / نفنى وللامة طول البقا


البدوي الملثم

زاول مطلق الصحافة في فلسطين فكان في طليعة رجالها ، وعالج الادب فكان من اوائل اعلامه ، وقرض الشعر فكان من ابرز فرسانه !

وفي دنيا القريض اصاب شاوا بعيدا اذ كانت قصائده معلقات مجنحة توشيها تلاوين من الروحانية والصوفية والفلسفة ، ولم ينس شهيد الوطنية والواجب وطنه المغلوب على امره فكان مؤمنا بعدالة قضيته ايمانه بربه وعاملا على كسر قيوده وفك اغلاله وتخليده على خارطة الدنيا !

ودرج الشاعر المحلق على نظم القصيدتين والثلاث في يوم واحد وعلى نظم القصيدة الواحدة في بضعة شهور ، واذا سالته عناسباب هذا التباين اجابك بتواضع وحياء : « ان الشعر هو قطعة من دمي، وهجسة من خاطري ، لا انظمه لابغي به مركزا او جاها وانما هو ياتيني من حيث لا ادري فانظم قصائدي الجامعة لكل ناحية من نواحي هذه الحياة بهدوء بال وطمانينة خاطر وبعد عن التكلف ! » .

وبريشة مفن بارع صور مطلق الحياة على حقيقتها تصوير فنان مبدع ولم يترك ناحية من نواحيها الا ووشاها لوحة باصباغ فنه وتلاوين شاعريته ! فالمال الذي يتكالب الناس على جمعه احتقره الشاعر وذمه وقال في ذمه :

يا مال ! في الافق البعيد سحاب / وعلى معالم صفحتيك ضباب
يا مال ! بينك والنواظر خشع / طمعا ، وبين العالمين حجاب
تبدو لهم ، فاذا الحياة جميلة / واذا بآمال الحياة عذاب
والناس لو علموا الحقيقة ادركوا / يا مال ، انك ساحر كذاب
يا مال ! كم نثرت عليك جماجم / وعليك كم ـ يا مال ـ طاح رقاب
وعلى اديمك كم صروح زلزلت / اركانها ، فاذا الصروح يباب
وعلى جحيمك كم ديار احرقت / في غفلة ... فاذا الديار خراب
وعليك! ـ كم فاضت عليك مدامع / وذوت حشاشات وسال لعاب
وتقلصت همم وساخت ارجل / ووهت زعامات وذاب شباب
وتعانق الاضداد في حلك الدجى / واسترسلوا ... وتناحرت احزاب
يا جامع الاضداد امرك بين / ما انت الا غرة ... وكذاب
وعليك من برح الحياة غشاوة / وعليك من مرح الوجود حباب
وبك اللئيم سما ، وبرز خامل / وتنازع العلم الكريم عذاب !
وبك البصير غدا وفيه عماية / يا مال والاعمى يرى ويهاب
وبك الشيوخ بعوا وفيهم صبوة / يا مال من مرح ، وشاخ شباب
وبك اللباب غدا ـ تكلتك عابثا / بالناس ـ قشرا والقشور لباب
وتقابلت في صفحتيك عمائم / وقلانس ، وتخرقت اثواب !
فبدت على ضوء النهار « كشاكلا» / منفوخة ... وتفتحت ابواب
فاذا اختفى ثوب ، تجدد غيره / او سد من باب ، تفتح باب !
الدين عفر فيك ... صفحة وجهه / قفعدا ، وفيه اسنة وحراب
والخلق اسلم في رحابك روحه / فبدا ، وفيه معرة وسباب
يا مال ! ما ملكت يداك ، ضلالة / وجميع ما جمعت خلالك ، عاب
يا عابدي الذهب الخسيس، قلوبكم / قدت من الصخر الاصم ، صلاب
اعماركم تقضونها في ذلة / وكزازة ، وحياتكم اسلاب
فترفقا ... اعماركم موقوتة / وتعففا ... هذي الحياة سراب
ماذا ادخرتم ، بعد غابر يومكم / للامس ؟ ـ امسكم اسى ويباب
الله يسخر منكم ، وهيامكم / بالمال ، والابرار والارباب
يا مال آه لعابديك حياتهم / ولهم ـ ومالي ـ مأكل وشراب
ولعابديك نضارهم ـ والله لي / والحق يدعمه هدى وصواب
والعيش في نظري حديث خرافة / ولانت ( حلوى ) والانام ذباب
يا مال انت اخس شيء منزلا / عندي وانت كما اراك تراب
انا للعلا ارنو فمالي مطمع / فيك ، ومالك في حماي ركاب !

والوطن البائس الذي درج الشاعر على تربته وملأ رئتيه بشميم عراره ، اضناه همه وبراه غمه فصور خلجات نفسه بقوله :

قيل لي : هات في الوطن / شاعر الحب والحزن
اننا اليوم نشتهي / شاعرا يذكر المحن
ان ليلى وعزة / والرشا ، متن من زمن !
فدع الحب والهوى / ودع الشجو والشجن !
موطني ... آه موطني / شاقني ذكرك الحسن
انا صب متيم / بك يا فتنة الفتن
كلما ردت خاطري / هجت في السر والعلن
واعترتني اهتزازة / هزت الروح والبدن !
ثم صعدت زفرة / من لهيب ، وقلت من ؟
من يرى الهون نازلا ؟ / بالحمى ثم لا يجن ؟
موطني ! العين اجهشت / والهوى في الحشا كمن !
انا يا موطني شبح / ما لغير الحمى احن !
انه الحب ، موطني / انه الحب مستكن !

ولم تبرح ( صورة ) هذا الوطن مخيلة الشاعر بل ظل يناجيها بشعر رقيق عذب منه قوله :

انا افديك يا وطني    بروح ثائر ... اشر
ونفس لا تزعزعها    رواسي الخوف والحذر
وقلب فيه موجدة    على الايام والعصر
وفكر ... ملؤه ثقة    بعدل الله ، والقدر
فداؤك كل مضطهد    وكل معذب الفكر
يرى الآلام تنهشه    فيصبر صبر مقتدر
يقدس لذة الالم ...    ويعبد بهجة ... الكدر
وهل ورد بلا حسك ؟    وهل شهد بلا ابر ؟
وهل نستاف يا وطني    نسائم زهرك العطر ؟
بلا الم ... يطهرنا    من الارجاس... والوضر؟

والشهداء العرب الذين قدموا ارواحهم قرابين على مذبح التضحية في ثورة عام ١٩٢٩ ، قدس الشاعر رسالتهم ، وفاخر بتضحياتهم ، واشاد ببطولاتهم :

انشد الشعر وحي الشهداء    واجد فيهم ، اخا العرب ، الرثاء
واملا الدنيا حنينا وجوى    وفم الدهر مديحا وثناء
حي ذكراهم وقف في حيهم    وتخيلهم صباحا ومساء
واسكب القلب على ارماسهم    قطرات واذرف الدمع دماء
انها تحوي جسوما حملت    في حناياها مضاء واباء
انها تحوي نفوسا انفت    ان ترى تحيا على الارض هباء
ارسل الشعر الينا صامتا    وابعث اللحن نشيدا وحداء
صعد الزفرة لا تحبسها    هداة النفس واطلقها بكاء
وابتعث منها شكاة واسى    والب فيها حنينا ونجاء
وانفث الآلام حرى كبد    ان في الالام سلوى وعزاء

وظل مطلق يتغنى بتضحيات الشهداء الذين انفوا العيش عبيدا بعد ان كانوا اسيادا في بلادهم فمهروا المجد دماءهم والوطن ارواحهم :

الضحايا معناهم الشهداء    الالى بعد موتهم احياء
سئموا الارض موطنا ومقاما    فغدت تنتمي اليهم سماء
وتسامت ارواحهم عن حياة    من هباء شؤونها استهزاء
لا يضير الضحايا ان يدرجوا الاك    فان ، موتى ! وانهم أشلاء !

وسعيد العاص ... ذلك الوطني المؤمن الذي تنكب بندقيته وهو الطاعن في السن واستشهد على ارض فلسطين في ( معركة الخضر ) اطرى الشاعر بطولته وتاه بعظمته وارسل يوم استشهاده :

شهيد البلاد الا تسمع ؟    وهل غبت عنا ولا ترجع ؟
عزيز علينا اخا المكرمات    فراقك والناي والمصرع
ولكن متى صاح ، حم القضاء    وحل البلاء ، فما نصنع
دموع الوفاء علام النضوب    فسحي ثكلتك يا ادمع !
ويا قلب ناج الزعيم الشهيد    وضمي رفاتك يا اضلع
( سعيد ) تنوح عليك السيوف    وتوحي الى النفس ما يفجع
وتذكرك الصافنات الجياد    ويندبك القاع والبلقع
وتبكي عليك نجوم السماء    وترنو اليك ولا تسطع
ويبكي عليك الوفاء الجميل    وقلبي عليك اخي موجع
( سعيد ) تناجيك في لهفة    وندعو ( سعيد ) فهل تسمع ؟
اخا العرب هذي شؤون الحياة    نروح ونغدو ولا نرجع
« وان هي الا خفقة في السراج    سيلفظها ثم لا يسطع »
قضيت حياتك حي الضمير    تقول الصراح ولا تفزع !

وفلسطين الذبيح التي تالبت على قهرها قوى الشر ، ولم يرو التاريخ ظلامة افظع من ظلامتها ، ما سلاها الشاعر وهو الذي عب ماءها ، وتفيا ظلالها ، بل جسد مشاعره قصيدا كنجيع قلبه :

فلسطين الشهيدة لن تضيعا    الم تصبغ مرابعها نجيعا ؟
الم يسقط بها قتلى وجرحى    الم تستقبل الخطب المروعا ؟
دعت ابناءها للموت جمعا    فلبى الجمع دعوتها سريعا
وبدلت الربوع بها دماء    وبدلت الدماء بها ربوعا !
واضحت كيفما قلبت طرفا    ترى في كل ناحية صريعا
وخرت (صخرة الاقصى) خشوعا    و ( مهد يسوع ) مماسيم ريعا
مآس ما راى الدهر شبيها    لها مما عرفنا ، او قريعا

والاضراب العام ... الذي ساد فلسطين مدة ستة شهور ولم يرو التاريخ له مثيلا والضحايا التي قدمها عرب فلسطين دفاعا عن وطن غال يريد الدخيل ازدراده وهضمه ... كل ذلك صوره الشاعر بقوله :

هي الحرية الحمراء تسقى    فتنبت بالدم ـ الشرف الرفيعا
وتورق في ظلال الموت مجدا    أثيلا باذخا ، حيا منيعا
فداك الروح يا وطني المفدى    ونحن فداك يا وطني ، جميعا
وكيف تضيع يا وطنا عشقنا    ونحن بنيك نابى ان تضيعا ؟!
يدافع عنك ثوار كرام    وشعب دابه الا يطيعا
مشى في حلبة الاقدام شوطا    بعيدا يدفع الخطر الذريعا
وامضى ، لا يني ، مئة وعشرا    وخمسا ليس يأبه ان يجوعا !
ولم يعر الزعامة ... اي هم    ولم يحفل اصولا او فروعا
فان لم يستطع دفعا لامر    فاقصى همه ان يستطيعا
لقد اقدمت يا شعب المعالي    ولم تحجم فاحسنت الصنيعا

ويمضي الشاعر سحابة عمره في تقديس وطنه وتمجيده الى حد العبادة واسمعه يقول :

وطني ، والله اعبده    وافديه مدى الزمن
بالذي احوبه من الم    والذي القاه من محن
بفؤادي ، بالحشا ، بدمي    باماني ـ بلا ثمن !
ماؤه عذب واربعه    غضة بالمنظر الحسن
والنسيم الطلق منتشيا    بأريج الزهر ، ينعشني
وربساه في مرابعها    حلوة في العين والاذن
والمواشي في مراتعها    حلوة في العين والاذن
والمواشي في مراتعها    ثرة بالصوف واللبن
نفحات الشعر شائعة    في حواشيه بلا هدن ..!

ويسود شعر « مطلق » تقديس الضحايا والاشادة بها والاعتزاز بما قدمت على مذبح الوطن من بطولات وتضحيات :

شباب العرب بوركتم شبابا    اباة الضيم في الجلى غضابا
وبوركتم من الآساد اقوى    قلوبا في الوغى واحد نابا
وبورك ترب سوريا ترابا    حواكم يا ضحاياها الشبابا
فانتم خالدون وان لقيتم    مناياكم ولاقيتم صعابا

وعمر بن الخطاب ذلك العملاق في عدله ، المفرد العلم في فتوحه تاه الشاعر بالبطولات التي اجترحهـا في سبيل اعلاء كلمة التوحيد واداء رسالة النور على احسن وجه :

يا فاتح القدس العظيم وسيدا    من سادة هم خيرون كرام
اجريت حكمك في البلاد ولم تجر    وبمثل حكمك تفخر الاحكام
أفنيت عمرك خشية وتعبدا    وسهرت ليلك والانام نيام

---

( ١ ) صاحب امتيازها كمال عباس وقد صدر العدد الاول في حيفا بتاريخ ٣١ آب ١٩٢٤ . ( ٢ ) صاحب امتيازها ايليا زكا وقد صدر العدد الاول بحيفا في شهر نيسان ١٩١٣ . ( ٣ ) صاحب امتيازها الشيخ عبد الله القلقيلي وقد صدر العدد الاول في يافا بتاريخ ٢ ايلول ١٩٢٥
( ٤ ) صاحب امتيازها ابراهيم الشنطي وقد صدر العدد الاول في يافا بتاريخ ٢٠ نيسان ١٩٣٤ . ( ٥ ) ليلى : كريمة الشاعر وديع البستاني . ( ٦ ) هو صبحي عبد الخالق شقيق الشاعر وكان نزيل معتقل المزرعة بعكا يوم مصرع شقيقه .

واذبت نفسك في الفضيلة والتقى ... وعراك من فرط الذهول سقام

والعامل الذي ولد شقيا ومات شقيا لم ينسه الشاعر من ملهماته بل خلع عليه لوحة من شعر عذب :

بؤساء الدهر يا قوم العبيد ... يا ضحايا الجوع والموت الزؤام
استعدوا ، حاربوا الخصم العنيد ... واشعلوا في القلب نار الانتقام
واهدموا في عصرنا كل قديم ... وارفعوا عن ظهركم نير العذاب
فتقيموا في غد ( كونا ) عظيم ... كان بالامس صريع الاضطراب

والموت الذي هفا اليه الشاعر منذ صرخة وضعه وصفه بقوله :

ارى الموت يدنو من فراشي فانثني ... افكر في ماذا عساه يكون
اموت ، وفي ارضي علي رسالة ... اذا خفيت يوما فسوف تبين
اموت، وفي صدري امان دفينة ... اذا انطلقت تسعى ، يهيج دفين
اموت ، وفي قلبي ميول غريبة ... تدل عليها لوعة وانين
اموت ، وفي نفسي عيوب كثيرة ... احاول تطهيرا لها ، فتشين !
اموت ، وروحي حائر كيف يتقي ... جحافل شهوات عليه ترين
اموت ، ومالي في حياتي تعلة ... ولا فكرة احيا لها وادين
الا ايها الموت الذي انت وافد ... اشك ارى ؟ ام ما اراه يقين ؟!
الا ايها الموت الذي انت ساخر ... بضعفي ... تاخر في الفؤادشؤون
وما كنتاخشى الموت لولا صحيفة ... لو انقلبت بيضاء ساد سكون
وفارقت دنياكم تمنيت بعدها ... وللموت مني لهفة وحنين !

عاش مطلق دهره متشائما ، وانى له التفاؤل ووطنه المغلوب على امره لم يلق يوما هاشا هنيئا ، لذا فقد لزمه التشاؤم طيلةالسنوات التي عاشها وقلبت على شعره الوان قاحمة سوداء دونك بعضها :

رقادك قلبي ! شجاك الالم ... وهد كيانك برح السقم !
رقادك ! خل الانين الممض ... وثب للهدوء ولا تضطرم
وحسبك هذا العذاب الاليم ... وحسبك قلبي هم وغم
وعاد الحياة ، وصاف الممات ... ونم في حواشي الردى والعدم
فما انا ، قلبي ، المحب الحياة ... وما انا ، قلبي ، المطيق الالم
وما انا الا الاسيف الحزين ... على ان لفظت لشاطي الظلم
فلم ار نفسي سوى ذرة ... تموج حيرى بيم خضم
تعيث بها سافيات الرياح ... وتنزو عليها ضواري الرخم
فطورا تحلق فوق الفضاء ... وطورا تمرغ تحت القدم !
تجيء فتمضي كمثل الهباء ... وتحيا فتطوى كمثل العدم

ومضى « مطلق » متشائما ، يصف الحياة على حقيقتها الناصعة:

صدق الظن واستبان الخفاء ... يا اخي : هذه الحياة هباء !
ومن الهون اننا مذ وجدنا ... ما انتهينا ... واننا احياء !
نحن لولا هواننا ما درجنا ... فوق هذي الثرى ، ولولا الغباء
ما رضينا بالارض الا لنشقى ... في (حياة) اقصى مناها الشقاء !
ولو انا رمنا السماء صعودا ... ما استطعنا ... لاننا سفلاء !
والشياطين في اخس مناها ... وبنو الارض في ( الحياة ) سواء !

عرف الشاعر انه خيال لا روح فيه وشبح هائم وفكرة ميتة ، فصور نفسه بريشة الفيلسوف الحكيم :

انا ( خيال ) ارى حالي بلا حال ! ... وفكرة ميتة بل خاطر بال
ارنو الى فلا الفي سوى شبح ... محطم ... لف في اكفان اسمال
يهتز كالريشة الحيرى على وتر ... مشوش اللحن في ضحك واعوال
تنتابني حادثات الدهر عابثة ... بالقلب والفكر والحوباء والبال
وتزدهيني لبانات ... فتصرعها ... روحي ! فتردي لباناتي وآمالي !

ويجد « مطلق » في طلب الموت اذ يؤثره على الحياة لكن الموت يفر من خاطب يده وينفر منه :

اؤثر ( الموت ) اثرة لا تجارى ... وارى في ( الحياة ) داء وبيلا
اطلب ( الموت ) وهو ينفر مني ... يا لتعسي! هل اطلب المستحيلا؟!

ورغم ان الشاعر اصاب ربيع العمر فقد ظل يشكو الحياة ويراها عرضا زائلا لا يستحق السعي وراءه :

( حياة ) كل ما فيها ... اباطيل ... واوهام
وظل زائل ورؤى ... والام ... واحلام
تمر بها سويعات ... واعوام ... وايام
ونحن هنا تقلبنا ... على الاكفان ... اسقام
نفارق هذه الدنيا ... وفي الارواح ... آلام !
فواعجبا من الناس ! ... لماذا في الدنى ... هاموا ؟!

وعاش الشاعر في حيرة وقلق مما استحوذ على نفسه من اهتزازات ... وظل غير مؤمن بالمنى التي حصدتها كفاه ... فاذا بها سراب خادع :

حيران في لذتي . .وفي المي ... ملحي الاجاج ... ككوثري العذب
هيهات ! ما في ( الحياة ) مغتبط ... وكل من في ( الحياة ) في تعب !

ويمقت الشاعر الحياة ويرحب بالموت ويتمنى لو انه كان عدما :

دنيا ـ لحاها الله ـ حافلة ... بالشر والباساء والالم
انصت الى الاجداث صارخة : ... يا ليتنا في عالم العدم !

وظل « مطلق » في قلق واضطراب وراح يتساءل تساؤل الفيلسوف المتامل :

ما حياتي ؟ : تعب في ملل ... وهيام في قفار الامل !
يطلع الصبح ، ويريد الدجى ... وانا من ـ حيرتي ـ في خبل !
كلما جال بفكري خاطر ... بددته خشيتي من فشلي !
كلما بش بوجهي ( حاضر ) ... ضاع في طياته ( مستقبلي )
كلما املت في شيء ثوى ... املي في ضيقات ... السبل !
اجهدتني ( فكرتي ) في طالعي ... يا لتعسي ... طالعي في زحل !

والفلسفة ... خاض الشاعر غمارها فاسمعه يقول بعنوان ( طلاسم ) :

الى اين في هذه الفانيه ... نروح ونغدو ؟ وماذا هيه ؟
ونحن الاناسي عبدانها ... اسارى هوانا بني الهاويه
لماذا خلقنا ؟ وماذا ترى ... نكون ؟ وهلا نجي ثانيه؟
وفيم نجيء ! افي طائر ... يفرد ، ام زهرة فانيه ؟
والا فقيم ؟ افي حية ... تنضنض ام شوكة جاسيه ؟
وهبنا خلدنا ... اليس الخلود ... تغير اجسادنا الباليه ؟
فطورا نكون اواني الخمور ... واخرى هي الخمر في الآنيه
وانا نكون قبورا لها ... ركائزها الراس والناصيه
ففي كل ناحية حفرة ! ... وفي كل حفرة ناحيه !

ويؤمن الشاعر في قرارة نفسه ان ( نفسه ) راس دائه واصل بلائه ومنبع شقائه :

حين ابكي على ليال مواض ... تنفر النفس والضمير تكتم
ورجائي يحور ياسا ولكن ... كومة الياس بعد حين تهدم
فانا في الحياة بين مرج ... مستحيلا ! او يائس يتظلم
انا طورا ارى الحياة شرورا ... ثم اخرى ارى الحياة تبسم
حائر النفس حيرة لست ادري ... ما دواها ، ولست والله اعلم
انت يا نفس منبع لشقائي ... آه نفسي الى متى اتالم ؟!

ويتصدى الشاعر لحرصنا على الحياة وتكالبنا على عرضها الزائل ويصور ذلك بقوله :

نموت ... ولكننا يا اخي ... نحب ( الحياة ) ولا نعتبر
ونذهل عما وراء ( الحياة ) ... بما ينجلي من شتيت الصور
فنحسب ان ( الحياة ) الغنى ... وجاه عريض وطبي نغر
وسكنى القصور ولبس الحرير ... ونوم السرير ونفح الزهر
طيوف رغائبنا في الجسوم ... واشباح شهواتنا والفكر !

والتصوير الفني ... ابدعت ريشة الشاعر في خلق صوره اي ابداع ... وصورت كل ناحية من نواحي هذا الكون ...ودونك بعض لوحاته الفنية :

عيناك يا هذي شعاع الضحى ... ووجهك الزاهي سنا الاربع

## مـن بعيـد

تمر ذكـراك اطيافـا مـن الحلم ... تفجـر الحـب في الاضلاع كالحمم
لا تساليني هـل بعـد يغيرني ... جعلت صمتـي الذي لا ينتهي حكمي
يموت حبك. . . يفنى. . . وهو في كبدي ... سهـم من الشوق تسري ناره بدمي
اتسفحين عبير الامنيـات علـى ... درب مـن الشك بالاوهـام مزدحم
وانت بين حنايا القلب لي امل ... يذود عنـي نسـور الحزن والالـم
اني أراك معـي في كـل آونـة ... قلبا يـذوب ، وروحـا للحنان ظمي
اراك فـي القلـب رؤيـا لا تشوهها ... على البعـاد ، رؤى الحرمان والسأم

لا تساليني عـن حبـي وعاطفتي ... فما التجافـي او النسيان من شيمي
ولا تفـاري اذا جـاء الخريف ولم ... يحمـل الـي شجـي اللحن والنغـم
ففي هواك ربيع استعيـد بـه ... درب الامانـي اذا ما ضاع من قدمي
ودعت امسـي بـلا حزن ولا اسف ... وكـان امسـي تاريخـا مـن الندم
لاولـد اليوم فـي عينيـك من عـدم ... كيمـا اسويـك بالاشعـار مـن عدم
من قـال انـك فـي شبابتـي نغم ... يمضي مـع الريح ، في كهف من الظلم
فـان أجئـك وفـي عينـي اسئلة ... عن سـر قلبـك بعد اليوم فابتسمي
انـي احبـك لغـزا لست افهمـه ... كالبحـر يزخـر بالامواج . . . كالهرم

من اجـل عينين سوداوين اغرقتـا ... قلبي ببحر مـن الاشـواق ملتطم
احيـل هـداة هذا القلب عاصفـة ... تستنزف الوهـم والاشباح من قممي
انفـر النـوم من عينـي واطـرده ... واقطـع العمـر في هـم وفي سقم
مـن اجل عينين سوداويـن لـي امل ... اعيشـه فـي هنـاء غيـر منصـرم
احـب ـ للحب ـ دربا كنت اذرعـه ... مـا بـين قريـة ارتـاح وطولكـرم

عمان

عبد الرحمن سالم عاليه



وانفـك الاقنـى بـه فتنـة ! ... تـدب فـي الاحشـاء والاضلـع
وثغرك البسـام يسبي النهى ! ... يغسل فيـه النابـغ الالمعي
وشعرك الفاحـم فـي ليلـه ... كصدرك الرجـراج في الشعشع
ـ جميلـة يـا هذه ، حلوة ... ان بنـت في راد الضحى تصرعي
لكنني فـي كـل زا زاهـد ... زهـد الذي شكواه لـم تسمع !

وصور الشاعر الزهور في طيها ونشرها وانحنائها وسجودها ،

والزهور! الزهور ! يا لهف قلبي ! ... ما احيلى الزهـور... طيا ونشرا
مـا احيلى انحناءهـا باسمـات ... خافقـات القلوب يقذفـن جمرا !
ما احيلى سجودهافي سجوف الظـ ... ـل ترنـو غلائـل الوشي حمرا !

ويمم الشاعر مرقصا صور رواده ومجون غوانيـه والشهوات والبسمات المصطنعة على شفاههن والرقصات المفتعلة لجلب المال :

( مرقص ) عابث يعـج عجيجـا ... كـل ما فيـه جلبـة وصيـاح !
غاض ماء الحياة فيه واضحـى ... كل « شيء » في جوفه يستباح
جسـد داعـر وجلـد سميـك ... دونـه في ـ السماكة ـ التمساح
فيه ( رفكا ) وفيه ( ليزا ) و ( ليلى ) وخزامى ونرجس واقاح
ان رقصـن فرقصهـن ذنـوب ... او تغنيـن ، فالغنـاء نبـاح
ان ضحكـن يقطرن سمـا زعافـا ... والابتسامـات عندهـن سـلاح
صادقـات الخيال يعرفن ممـن ... تستغـل الامـوال والاربـاح
كم تردى فيهـن قتلـى وصرعى ... وتلاقـت في ساحهـن رمـاح !

ويزجي الشاعر نفسه بالعتب ... لامعانها في تعذيبه وتركه نضو انين وألم :

يا نفس ، قد عذبتني ... وتركتنـي رهـن الانـين
اظننـت انـي ما ذكـرت ... ولـم يعاودنـي الحنين
يا نفس ، حتـام الاسى ... يا نفس ، حتـام الانين
يـا نفس ، انت شريفة ... هـلا بذلـك تكتفـين
نفسـي انـا ... رمـز العنـا
فلـم الونـى ... ولـم الركـون

يا نفس ، مالك تصمتين ؟!

آثاره القلمية : ترك فقيد ادبنا المعاصر اعلاقا نفيسة من شعر ونثر منها :

١ ـ ضجعة الموت : كتاب شعري طبعه عام ١٩٣٦ .

٢ ـ الرحيل : ديوان شعره وقد اختار الشاعر اسمه قبيل وفاته وقد تولى السيد صبحي عبد الخالق طبعه عام ١٩٣٨ .

٣ ـ خواطر وآلام : كتاب ضخم اشتمل على مقالات ادبية وتاملات نفسية بقلم الشاعر .

عمان ـ الاردن

البدوي الملثم

اليك... ايها النبي المتوسد قلبي
على اوتارك انبض فانتشي
عبق بخورك يسكرني فاغيب
في مرفاك عالمي ونهاية اغترابي
اغمض عيني بلذة كي استبقيك فيهما ...
وفي غرفتي المغلقة يحلو خشوعي لديك
ترنو الي فيتهامس الورد ويضيء العنب !
تواكبك نفسي كالخشبة
المشدودة الى الزورق ،
تهبط وتعلو ، فاجتاز التموجات باطمئنان
تردني الريح، يبلل جناحي الرذاذ، فأزداد اندفاعا وتطلعا اليك .
وفي المرفأ حيث نلتقي تذوب عيناي في شمعات معبدك
اتلاشى في حناياك وانصهر في ذاتك لاطل من عينيك وابعث في اغانيك ، فما اشهى ضياعي فيك .

●

الربيع يتغلغل في اعماقي
اخطو فتخضر الارض تحت قدمي
احرك يدي فتتراكم المواسم بينهما
في ظلام الليل في وحشته الباردة
ارى العصافير تغني على اوتار الشمس .
البراعم تتفتح قبل موعدها
ومواكب الطيب تعطر حتى الغمام
نار تدفئني ، تدفعني ، وتوقظ حواسي
لا اعلم لماذا اسامح واغضي بمحبة ،
لماذا اتكلم بهمس ، وابتسم لرؤى تلمع في خاطري .
تهللي يعبر الآفاق ويمزق اقنعة الشمس
ومع الصمت اسافر الى الف جزيرة بعيدة
لا احد يعلم ، باية عذوبة تذيبني نظراتك
وكيف تحول دموعي الى لآلىء .

●

# أصــداء

في مغارة حمراء رخامية الجدران خبأتك
في مياه عيني اغرقتك ونثرت حولك الضباب
في جيوب الليل افرغت شعاعات ذاكرتي ،
وفي صمته همست اغاني الخرساء
حفنة من شمس اذبتها في مياه البحر
وهربت ، هربت من النور الفاضح
من النسمات الموشوشة ومن النهار المتفتح مع جفونك .
هربت مع خطوات قلبي المسرعة،
ومع غيوم الليل الداكنة تركت خيالك .
وبزغ الفجر ... والقمر ما زال يزحف بتراخ نحو المغيب
كيف يلتقيان؟... كيف نلتقي..
ورأيت كل حبي ، الذي خبأته ،
تنثره شفاه الافق الوردية
وتغرق عيناي في عينيك من جديد !



●

ايها الالم ، يا صنو روحي الازلي
انت عصارة تتدفق في قلبي
فتحمل الي السلام والطمأنينة
جرسك يرن في اعماق ضحكاتي
كم حجبتك تحت طلاء وجهي ،
كانسكاب المزامير في معبد مهجور
كم غلفتك في بريق عيني ، واثملتك
وسط كاس تحترق في الثلج !
وفي المساء عندما يطبق الظلام سعفه السوداء .
افتحك مروحة تبرد تنهداتي !
المح عبر شفافيتها الخدعة المحبوكة بالحياة
تخترق شعاعاتها ابعاد الليل برقا ناقما
تضيء لي وحدي فتريني الملل القابع في المغاور ،
التفاهة المتحصنة في قمم الجبال.
تريني ضحكات الجماجم الساخرة
والهزيمة الملقاة في الاعماق .
الازهار تتماوج في الحقول ،
واليباس يفح مع الشذا
الصقيع المتربص يتدفق مع النضرة الرائعة
ما جدوى هذه الهناءات يعرشها المغيب
ما جدوى الصفاء النابع في انشودة الصباح
لا لا ستبقى رفيقي ايها الالم ،
سيبهرني ضياؤك فلا ارى زخرف الحياة وافراحها الكاذبة
ستنزفك روحي بنهم ابدي
واتحد بك بتلاش وذهل .

●

كم يؤلمني هذا الواقع الخانق
في نفسي آفاق وانطلاق
انام لاهرب من واقعي
واذا صحوت غرقت نفسي في المأساة .
في الظلام انطلق من قيودي، اوقد مشاعلي
نجمتان تنزلقان الى عيني فارى ظلمات روحي
ابحر في سكون ، اطير الى مجاهل بعيدة
انفذ الى المضيقات واسمو الى المرتفعات
ارى ليالي الاسى والتماعات الفرح
والكرسي يشدني بشوق .
كم اتمنى ان اضيع واتيه دون رجعه
ان يحملني قطار مجنون ، طريقه اقبية ، مظلمة دون خطوط ،
دخانه الكثيف يحجبني فلا يعرف لي مقر
فانسى وجودي وارمي بهويتي
واستبق الموت الى حياة جديدة.

**الشويفات ــ لبنان    اديل الخشن**

# صورة الاستاذ مرسي

بقلم حسني سيد لبيب

قصة

مات الاستاذ مرسي .

جمد ابنه عباس حين وصله النبأ هاتفيا ، فهب من جلسته ورفع قامته ثم اخرج زفرة حادة من صدره . نظر اليه خليل افندي دون ان يتحرك قيد انملة .. النظارة منزلقة على ارنبة انفه يطل منها على اوراق مكدسة امامه .. نظر اليه بعينيه المجردتين تاركا النظارة تلهو كما تشاء على انفه :

ـ تعيش انت يا استاذ عباس .

رنت العبارة في اذنيه رنينا حادا . التقت عيناه بغتة بمرآة صغيرة معلقة فرأى فيها شاربه ، انه ليس كما ينبغي له ان يكون . جال في المكتب والموظفين بنظرات تائهة حائرة ، وهو لا يدري ما الذي يريده بالضبط . قال له علي الزهاوي :

ـ تفضل يا استاذ عباس ، وسنكتب لك الاجازة .

مرة ثانية ترن «استاذ عباس» رنينا حادا ، وكأنه يسمعها للمرة الاولى . خرج في جمود من مكتب المستخدمين متلهفا على تحية كل من يلقاه ، وكأنه يتأكد من ان الناس لم تزل تعرفه .

نبح كلب في اثره وهو يتجه الى محطة الترام . تناول حصاة وقذف بها الكلب ، فازداد نباحه . لكن عباس اكتفى بالتعبير عن سخطه عليه ، ولم يأبه بنباحه المتزايد . انه عموما يكره الكلاب ، وحتى محروس يكرهه ايضا .

ومحروس هذا كلب عجوز يقتنيه ابوه . كره محروس وخشي اباه . لهذا السبب حاول ان يستقل بنفسه حين تزوج ، لكن اباه عرض عليه الاقامة معه في الشقةالعتيقة ، فوافق دون ان يتدبر الامر . وربما كان يقترح هو نفسه ذلك لو لم يعرضه عليه ابوه . فبرغم خشيته اباه ، الا انه يرى اباه انسانا ضروريا في حياته .

انحشر في الترام ، واختلط ضجيج افكاره بضجيج الترام فأحس صداعا رهيبا يحفر رأسه . مات ابوه اذن .. فهل تغير العالم ؟... هل يتغير هو ؟.. لم يكن يجيب على تساؤلاته وانما كان يطرحها فقط .

التقى بزوجه على السلم ، فألفاها متشحة بالسواد . نظر اليها في صمت . فقالت له وهي تمسك بكتفه وترمقه بعينيها :

شد حيلك يا عباس .

انه لم يتغير في نظر زوجه . احقيقة انه لم يتغير ؟!. تمتم وهو يصعد الدرج :

ـ امات حقا ؟!

بكت زوجه بكاء مرا ، فقد كان بالنسبة لها شيئا ضروريا . هو الذي كان ينجز كل شيء ، وكان لا يخيب املهم في شيء . كان يقدر المسئولية فلا يتخلى عنها . ولم يكن ينظر الى ولده الوحيد عباس نظرة جادة ، وانما اعتبره طفله المدلل ، حتى انه اسكنه معه بعد الزواج . اما ابنته الكبرى فقد تزوجت ورحلت مع زوجها الى المنصورة حيث عمله ، بينما قعدت الصغرى في البيت في انتظار العريس .

قابل وجوها متباينة كثيرة ... تكثر النظر اليه ، تتأمله في عطف ورثاء ، ثم تنثال الكلمات من الشفاه في عبارات عزاء صادقة . وتتوه عيناه في الوجوه متفحصة ولا يكاد يسمع كل كلمة تقال ، وانما ارتأى الجميع قد ألمتهم الصدمة وغيرت من طبيعتهم .. كأنهم يؤكدون له انه مات .

دخل غرفة ابيه الصغيرة . في الغرفة مكتبه حيث كان يقرأ بعض كتب القانون ، وكنبة بجوار النافذة ، وبعض الكراسي تحتل فراغ الجوانب الاخرى من الغرفة ، وفي الوسط نضد خشبية لم يكن لها استعمال سوى وضع الطاولة العتيقة عليها .. ثم يشهد البيت كله من قريب أو بعيد مباراة حامية بينه وبين رفيق العمر الاستاذ فهمي بخيت ، الذي كان في مثل خشونته وان اتسم بدماثة الخلق .

دخل الغرفة ووقف مشدوها قبالة صورة ابيه الموضوعة في اطار مذهب كبير .. ويتذكر الاستاذ فهمي حيث كان يجلس قبالتها يتأملها ثم يتمتم :

ـ صورة الاستاذ مرسي تشعرني بأن في البيت رجلا شجاعا . يا لها من صورة !

حملق عباس في الصورة طويلا وهو يتذكر كلمات فهمي التي لا يمل من تكرارها . ووجد في ضخامة الصورة شيئا غير طبيعي . انها تكاد تبتلع وجوده . وكثيرا ما تمنى ان يتخلص من محروس ، لكن اصرار الاب على وجوده احجمه عن تنفيذ ما يرغب . وعاش في البيت مكدودا بسبب شيئين حادين يوجدان فيه رغم انفه : صورة ابيه وكلبه الامين .

حين سقطت نظرات امه عليه ، لم تستطع تكتم دموعها ، قالت في صوت ممزوج بأنات الالم :

ـ مات .. مات يا ولدي رجلنا كلنا .

نظر اليها عباس في جمود ، بينما اخته فتحية تنظر اليهما في بلاهة ثم قالت لـه :

ـ الشيخ محمود حضر .

والشيخ محمود رجل ضرير يقطن في نفس الشارع ، في غرفة يتيمة على سطح بيت متهالك. وهو مقرىء الاستاذ مرسي الخاص . يحضر مساء كل خميس . وكان عباس يضطر الى الجلوس جوار ابيه وسماع آي الذكر الحكيم ، بينا يستغرق ابوه في الانصات وفي يده مسبحة كهرمانية يحـرك حباتها حينا ، ويرشف فنجان القهوة حينا اخر.. ومن حين لاخر يطلق عبارات الترحم على ابيه الذي مات منذ زمن ليس بقريب .

دخل الشيـخ محمود يسنده الاستاذ فهمي كما هو مالوف في كل مرة . فقط ظل الشيخ، في هذه المرة ، يسترسل في عبارات الترحم على الاستاذ مرسي مغدق الخيرات عليه .. ولو انها خيرات بسيطة لا تعدو العشاء الاسبوعي ، وشرب القهوة ، اما الينسون فلا يقدم الا اذا طلبه الشيخ بنفسه .

مال الاستاذ فهمي قليلا وهمس في اذن عباس :

ـ سيعد للمرحوم صوانا كبيرا يناسب مقامه .

احضرت فتحية صينية القهوة ، وقالت وهي تناول آخاها فنجانه :

ـ محروس مات .

ـ مات !.. هو ايضا ؟.

ـ سقط قتيلا تحت عجلات عربة نقل ضخمة .

وجم عباس وطال وجومه ، ثم اخرج لفافة واشعلها في ضيق . ولم ينس ان يناول الجالسين لفافات الدخان . كانت هذه اول مرة يدخن فيها في غرفة ابيه العتيقة . لم يكن يجرؤ على التدخين امام والـده ، برغم سنه ووضعه الاجتماعي كزوج وموظف .. كشخص مستقل . لكن ذلك لم يكن يضايقه كثيرا ، وان كان يقلق تفكيره بعض الشيء . كـان ابوه يدخن مشاركـة مع صديقه فهمي ، ويجلس في حضرتهمـا عباس ، الذي لا يشعر ان به للدخان حاجة . الف هذا الوضع ولم يفكر في تغييره .

اما هذا التغير المفاجىء ، فقـد كان مبعث دهشة فهمي فسأل في طيبة خاطر :

ـ اتدخن ؟.. كان الله في عونك يا ولـدي .

وتطايرت فتحية بالخبر الجديد لتبلغه في شبه زهو وقور الى امها ، فزعقت فيها ووبختها لعدم فهمهـا وعجزها عن التمييز . صاحت في الم كانها تحادث النسـوة اللاتي يفترشن الحصير :

ـ بنـت لا تعرف السماء من العمى . ولا على بالها ما نحن فيه . فانثالت كلمات التطييب من السنة النسوة بما تسعفهن به الذاكرة .

ظل عباس رائحا غاديا في الصوان الكبير ، وقد عقدت الدهشة لسانه من هذا العدد الكبير من الناس . ناس عرفهم معرفة وثيقة ، واخرون لم يبق لهم في ذاكرته سوى الاسم ، ووجوه لا يكاد يتعرف على اصحابها . هم بالبكاء فعلا حين رأى ان وفاة ابيه تقلق هـذا العدد الهائل من الناس . وكان البكاء صورة اخرى للقلق والتوتر اللذين يعاني منهما ، بعد صورة الاكتئاب التي ارتسمت على وجهه .

وفي منتصف الليل ، جلس عباس وحيدا في غرفة ابيه العتيقة .. شارد اللب .. يحرق انفاس الليل بدخان سجائره . ولاول مرة يكتشف ان اباه عملاق هائل . ولكن ما الذي يستطيع ان يفعله كي يسد الفراغ الذي حل بفقده ؟. ايستطيع ان يسد الفراغ ؟. لم يجد في طرح الاسئلة جدوى لانه لا يفكر في الجواب ، فانتشل نفسه من تلك الدوامة وتلهى بالنظر الى الصورة الضخمة التـي تتصدر الحائط وتبتلعه ، فلا يكاد يحس بوجود حائط وصورة .. انما صورة فقط .. والحائط يتلاشى في ذهنه .. بل استشعر حيوية تسري في الصورة . صورة رهيبة حقا .. ولفح انفاس يحس بهـا وصوت يحدثه .. اواه .. ربي .. ما هذا ؟!.. شبه غمامة تحاول ان تنال من الصورة ، وتشوه ملامحها .. لكن الصورة تبرز في تحد صارم. صوت آمر ينبعث منها : « نم يا ولدي . انك في حاجة الى مزيـد من النوم » . صرخ عباس : « لا استطيع .. ولسـت في حاجة اليه » .

قلت لك نم .. الم تسمع ؟» .

صرخ في قوة : « انت قاس ، لماذا تجبرني على النوم ؟. لن انام . اواه .. ابعدوها .. ابعدوها .. ابعدوها .. » .

استيقظت زوجه من نومها مذعورة واسرعت اليه فالفته في حالة جنون يائس .. لا يكف عن الصراخ .. وحين تنبه الى وجودها اطلق تنهيدة ارتياح واخرج لفافة بيد مرتعشـة وصاح فيها :

ـ الكبريت .. اين هو ؟.

عجبت زينب من امره وقالت له:

ـ انه في يدك . ما الذي جرى لك ؟. اجننت ؟!.

لا تتركيني يا زينب . انا معذور. لقد افتقدت ابي ، واشعر بالوحدة.

هدات انفاسه، واحس بالسكون. امسك يدها في قوه .

ـ كفك باردة .

تمنى لو ظل ممسكا بيدها طول الليل ، لكن نظرتها الحادة المتسائلة زجرته وعنفته ، فاحجم عن ذلـك في ضيق .

اراح راسه على صدرها وهمس :

ـ اشعر بالراحة . دعيني انام هذه الليلة على صدرك .

ارقت زوجه طول الليل ، وكلما حاولت زحزحة رأسه عن صدرها لتريحها على مسند المقعد ، تجـده يهب من نومه مذعورا ، فتلزم السكون في ارق صامت . كان كطفل لا يهنأ له نوم الا على صدر امه ، ولا يلتذ له حلم الا على وسادة تنبض فيها

العروق بالحنان الفياض .

تراءت لها صورة الاستاذ مرسي كعملاق هائل ، بينما احست بزوجها قزما ضعيفا يطلب النجاة . سكون مطبق حولها ، لكنها لم ترتعد .. فقد غرقت في لجة من الاحاسيس الى ان اغراها السكون بالنوم ، فأمالت راسها على مسند المقعد ، ونامت .

وراح الاثنان في سبات عميق .

بعد تلك الليلة الرهيبة ، لم يجد عباس مفرا من ابعاد الصورة . لم تعارض زوجه ، لكن امه عنفته وقذفت في وجهه كل الوان السباب الذي يخطر على بالها وتحفظه في ذاكرتها عن طيب خاطر . وانهت سبابها قائلة :

ـ هكذا يا ولدي ، تمحو كل اثر لابيك .. حتى هذه الصورة ..هذه الصورة !.

قال عباس في عنف :

ـ كل اثر لابي !.. اطمئني يا امي .. لم يمت ابي الا بعد ان بصم باصبعه على كل جدار . رجل كابي، لا يمكن ابدا ان يموت !.

اجهشت الام بالبكاء ، وهذه حالها منذ ليالي الحرمان الثلاث التي مرت على رحيله . كما يشتد بها الحزن ويستفحل الخطب حين تفكر في عباس . وتتساءل في حيرة : هل في مقدوره ان يحل محل ابيه ؟. ان عباس رجل ضعيف ، غير مستقل الشخصية .. كما انها تنظر لابنها نظرة عطف وشفقة ، ازاء تلك المسئولية الجديدة الملقاة على عاتقه.

اما فتحية ، فتعيش معهم غير مكترثة . انها لا تتحدث ، مؤثرة الصمت على الكلام ، ولو انها تحب من حين لاخر ان تتفوه بما تجود به الذاكرة من كلمات فيها من السذاجة ما يجعل اهلها يؤثرون صمتها التام، ويعدونه نعمة كبرى .

لكن فتحية ترقب كل من في البيت بعين فاحصة ، ولها فلسفتها الخاصة في كل شخص ، فأخوها شاب عنيد ، وان اختفى عناده خلف طيف من الحنان يطوف بعينيه وينبض في عروقه ويتنفس في صدره ويعيش في كيانه . هذا الطيف يتجسد لها كانسان اخر يلازم اخاها . اما زوجه ، زينب ، فهي تعطف عليها كثيرا وتانس بوجودها. اما امها فقد حولها الخطب الاليم الى امراة اخرى عصبية المزاج ، وقد بدات تثور عليها لاتفه الاسباب وتنفر منها .

وطيف الحنان الذي تراه كانسان اخر يلازم اخاها، بدأ يتضاءل ويتبدد نهائيا ، ولم تعد تشعر بوجوده ، وحل اخوها محل الفراغ الذي تركه الطيف ، وتجسدت صورة عباس في ذهنها . اصبح رجلا فظا غليظا ، يزعق فيها دائما . نزع صورة أبيه الضخمة العريقة ، ثم شهدت صورة اخرى لاخيها توضع على الجدار مكان الاولى . زعيق اخيها اصبح عادة تلازمه ، ونما شاربه بغزارة ، واتى بكلب صغير زاعما انه تقليد جميل ورثه عن ابيه !. لكنه اكد للجميع مرارا ان هذا الكلب سيكون افضل من محروس ، ويصيح فيهم:

ـ لقد اعجبني !.

كما لاحظت فتحية انهماك اخيها في التدخين ، مخلفا وراءه اعقاب السجائر والعلب الفارغة ودخان يسبح في فضاء الغرفة كالضباب الكثيف .

اسهمت فتحية ازاء كل هذا التغيير . لكنها تسأل نفسها في حيرة عن الفرق بينهما !.. بين ابيها واخيها .. وهل تغير شيء ؟. ام ان اباها بعث حيا من جديد ؟!.

القاهرة — حسني سيد لبيب

# الحروف الخرساء

*

لن تسمعي
شيئا هنا في مضجعي

الليل هذا عشته — والصمت يغشي اضلعي
وذلك الذي هنا — كان مع الامس معي
مضى ولم يبق لنا — منه سوى ما يدعي
حروفه التي بدت — خرساء كانت ادمعي

يا هذه التي مضت — وارتحلت عن اربعي
ولم تعد تذكرنا — بمرشف او مدمع
اعذب ما في مهجتي — منك جراح اصبع

بغداد — صفاء الحيدري

# مشاهـد من احلام اليقظـة

بقلم مصطفى درويش الدبـاغ

* * *

حقا ان الدنيا حكايات واقاصيص ، تنساب من الواقع، لتصاغ قصة ، او رواية ، يرويهـا الناس ، لبعضهم البعض ، ويستمدها الخلف عن السلف ، وقافلة الحياة، تنطلق بسرعة ، تمتلىء حقائبها بأسرار المجتمع الانساني ، والناس اسرار مغلقة ، فالذي تراه باسما ، يغدق عليك الشيء الكثير من مرحه ، يطوي في اغوار نفسه حزنا عميقا لا تقع عليه ، الا النفوس الحساسة ، وكثيرا ما تطوي حوادث الحياة ، والانغمار في تيارها المتدافع المتلاحق ، الالم الدفين الذي ارهق بعض النفوس الوديعة، ازاء ما ارتكبته ، من هفوات ، ونزوات عابرة لا يستسيغها الضمير العام ، فتنسى ما يلابسها من هم دفين يؤرق في بعض الحالات حياتها ولكنها لا تلبث حتى تشعر بوخز الضمير ، وانبعاث فوهة الجرح الغائر ، والاحساس بحقارة الناس لها ، اذا ما ران عليها الهدوء ، او قفز من الحوادث امامها، ما اثار في نفسها كامن الذكريات الاليمة، وطبيعـة بعض الناس ، تخضـع لمقتضيات السلوك الانساني ، وتخشى صولته ، اكثر مما تخضع للغرائز الطبيعية ...

انا الان مع صديقي ، في احد الاندية ، يغرق في اذني ثرثرته ، اتابعه وانا يقظان حالم ، مغرق في احلام يقظتي ، وقد تقاطر سيل من الحوادث جنيته فيما سلف من ايامي ، محصولا وفيرا ، ادخرته على غير ارادة مني ، واودعته نفسي ، مثل ايامي شريطا غير متماسك الاجزاء، فيما يبدو لاول وهلة ، بيد انه في حقيقته ، متماسك اشد التماسك ، وان كانت الحوادث تختلف عن بعضها البعض ، الا انها تتفق في وحدتها وهدفها ، يضمها في وحدة الهدف ، تناقضها مع مألوف الناس ، وتشعرك باللذة والسرور ، من سلوك بعض الناس ، ونظرتهم للحياة والاحياء .

اخذت احلام اليقظة تظهر لي صديقا عزيزا ، ترك عمله الممض المرهق ، في بعض المؤسسات ، هروبا من قيود السأم والملل ، والالم الذي استحوذ على نفسه ، من اثر عمله الرتيب ، فانطبع على وجهه ، فبدا كالغيمة الدكناء العابسة يستمده من تيار الحزن ، وما ألم بنفسه من مختلف الالام .. حياني الصديق ، وعاتبته على ترك عمله ، فاجابني .. لقد جربت الالم فضاق بي ، وضقت به ذرعا ، الم ممل ينفح السأم والضجر وآمل ان اجدد في لونه ، وراغب في تهوية نفسي ، وادخال آلام جديدة عليها ، تطرد عني الالم القديم ، لعل في التجديد ، راحة تطمئن اليها النفس كما يدخل الانسان الهواء المنعش الجديد ، والنور المشرق على الغرفة الرطبة ، فتنبعث فيها الحياة بما يتألق فيها من الهواء العابث اللاعب ، والنور الضاحك ، ويضفيان عليها روحا وحياة تشعر بالدفء والطمانينة ، بعد ان رقدت في كنف البرد ، والصقيع مقرورة ، تتجمد الحياة فيها كما يتجمد اليأس ، في بعض النفوس المقرورة ولعلني ابلغ في هذا الالم المجهول الذروة ، ومتى بلغ بي الالم ذروته ، ارجو ان تتكشف لي السعادة ، وانا واقف على ارض الالم الجديد الصلدة ، فاعيش حياة هانئة ...

وما لبث هذا المشهد ، ان انسرح مطويا ، اتعقبه بالحسرة ، اذ كنت راغبا ان استزيد من فلسفة هذا الرجل المغبون ، فلسفة لا ابالية ، وانفرج الفيلم عن صورة رجل اخر ، عاش فيلسوفا وفنانا في حياته ، بدا في اكمل صورته ، وهو ينفث المه ، سخطا على الحياة والاحياء ، يؤلمه ما يضمره الناس لبعضهم من حقد وضغينة ويود لو ان المحبة ، سادت البشرية ، واتفق الناس على الهدى ، ولم يتفقوا على الضلالة ، واستمعوا الى صوت الحكمة ، ونزعات الضمير الحي ، وعاشوا متآخين ، في ظلال الرحمة والتسامح والانسانية .

تقدم مني ساخطا برما ، وهو يلقي بشواظ غضبه ضرما لافحا ، وانا اهدىء من غيظه ،واطامن غلوائه ، فما لبثت حدة ضرامه ، ان همدت ، وانبعث منها ذلك الحزن والاسى يرسله متأنيا ، والشجى يهتز في نبراته قائلا :

.. عشت ما عشت والمظالم تكتنفني من كل جانب منذ طفولتي ، الى ان انتقلت للرفيق الاعلى ، وعشت حياة كلها كفاح ، في سبيل الانسانية ومحاربة المظالم الفاشية، وما زادتني الحوادث الا مضاء وهمـة ، ولكن اليـأس استشرى في نفسي ، لان غرور الانسان ، وتماديه في الباطل ، والضلالة قد شأى واستحصد نبته ، فاذا ما كنت جمعت قواي في سبيل محاربة المفاسد الاجتماعية، فانما كنت بهذا ادافع عن نفسي وانا صورة ، عن كل انسان ، تحيفته الاحياء ، وغبن نبوغه ، ووئدت عبقريته وهضمت حقوقه ... لقد عشت للناس ، ولم اعش لنفسي ، اضرب لهم الامثولة الانسانيـة عمليا ، في الغيرة ، والانسانية ، والناس تحب من يغرق في ادخال المسرة على نفوسها ، والطمانينة الى قلوبها ، ويطالبونه متزيدين من عوارفه ، ونفحاته الانسانية سواء كان .. من ماله او من جاهه ، الم يبلغك قول الشاعر :

**وانا امرؤ ادى اليك صنيعـة من جاهه فكانها من مالـه**

وتركني ، وانا محتار من امر هذا الفيلسوف الفنان الانساني ، ووددت لو ان المشهد ازداد وطال ، لاضيف الى محصولي فلسفة عملية ، تركني والدموع تنحدر من

# انتظار

عطفي يا دروب ! نصف المصابيح ظلام ، ونصفها اضواء ...
انا ذبح الاوتار ... ما زال في صدري بقايا اغنية وسناء
كم بعيني من حفيف خفي فيه ماجت حريرة خضراء !
الف روحي ! تكلمي من دوي الز هر ! جاء الشتاء ... جاء الشتاء !

ذكرياتي ! هل نمت يا ذكرياتي ! لا تنامي ... فمن قصي رجاء !
انظري . انظري . خميل ظنون ام طيوف ما ان لها اسماء !
بي تهجاس شاعر كوكبته من عيون الاسطورة الافياء
ودروبي ، في رجع نظرة عيني ، رصفتها اظلة سوداء
وانا ظلت في اعاميق كاسي انطوى انا وهذا العراء
ذكرياتي ! هل نمتيا ذكرياتي ؟ لا تنامي ... فمن قصي رجاء !

يا رياح ارقصي ارقصي في الدجنا ت وانت ارعدي ارعدي يا سماء !!

حلب — علي الزيبق

عيني حزنا على هذا الرجل العجيب الغريب .. ولكن هذا المشهد اعقبه مشهد اخر وهو صورة كهل تعرفت عليه في بعض اسفاري ، كان على ما هو عليه من يسار وغنى ، لا يرتدي الا الثياب القديمة ، برز مرتديا ثيابه القديمة ، يشعرك من نأمة صوته بتواضعه ظاهريا ، بيد ان الكبرياء والاعتزاز بالنفس ، يطلان عليك ، من وراء هذه الثياب القديمة ، فقلت له محييا : اما زلت تلبس الثياب القديمة ، تطل بها على اصدقائك وهم في غمرة احلامهم .. فاجابني ضاحكا عابثا :

الا تذكر ما كنت حدثتك به سابقا في احدى سهراتنا ان الثياب القديمة تثير الاشفاق ، واما الثياب الجديدة فانها تثير حسد الناس .. وانا يا صديقي اخشى حسد الناس ، ولا ارهب اشفاقهم ، ومهما بلغ من فضولهم ، وثرثرتهم حول ثيابي ، فاني اتلقى ذلك بالبشر والغبطة، ولكنني اتالم من وخزات نظرات حسدهم ، اذا ما لبست شيئا من اللباس جديدا .

لقد ذكر لي ذلك وعيناه تطفران بالدمع الضاحك ، وحياني وما لبثت صورته ان انطوت ، وانفرج الفيلم عن صورة رجل اخر، كان مولعا في ضربهمثلا مشهورا لكل انسان يصادفه في حياته ، وهذا المثل هو .. اياك ان تضع بيضك في سلة واحدة بل ضعه في سلال كثيرة ، واحمه بالقش والورق ، واذا ما جمعت المال ، فأودعه في مصارف متعددة ، وليس في مصرف واحد ، فلربما انكسر البيض جميعه في السلة ، اما سقوطا من اعلى السقف ، او كسرا ، والتهاما ، يلتهمه ابناؤك ، وكذلك يخشى على المال اذا اودع مصرف واحد من التبدد والضياع ، اذا ما ادرك المصرف الوهن ، او قدم دفاتره ... تذكرت هذا الرجل الذي صعقه الموت وحيدا ، وجنى حياته مودع في المصارف المتعددة ، ادخلهالورثة في حسابهم ، لم ينقص منه شيء ، بفضل حكمته وتأثره بالمثل الانجليزي ، وفي بعض الامثال تنبع الحكمةالمستمدة من تجاريب الحياة ..

وأنجاب الفيلم عن صورة رجل ، بادلني التحية ، فحييته دون ان اميزه وقد ادرك ذلك وبادرني قائلا .. هل تسيتني؟.. انا فلان اخ فلان فعرفته حالا ورحبت به . وقد عرفته من التعريف ، وليس من صورة وجهه التي غيرتها الاعوام والسنون .

وقلت له ضاحكا : اما زلت تنتسب عرضا ، بعد غياب هذه السنوات الطويلة .. الناس يا صديقيتنتسب بالطول ، ولكنك تنتسب بالعرض .. فضحك وقال : وانت ما زلت تلقي بالدعابة ، سقى الله أياما كنتتنثر فيها مجالسنا ، بالقائك عفويا امثال هذه الدعابات والقفشات المبهجة .. وانقطع المشهد ، وحوارنا الكلامي، واستفقت من غفوتي على اثر حضور الخادم ومطالبته بالحساب ، فأثار المرارة في نفسي ، قطع هذه السياحة النفيسة الحالمة المتيقظة ، وخروجي من عالم النفس الرحيب وأنا في تمام السرور من هذه المشاهد المتناقضة الى عالم الواقع لاملأ حقائبي بحكاياته وصوره .

عمان — مصطفى درويش الدباغ



حبيب الخـوري

# الروابط الفكرية هي أقوى الروابط

بقلـم حبيـب الخـوري

تهنيء « الاديب » المربي الكبير حبيب الخـوري لكتابته هذا المقال وهو الان في التاسعة والثمانين من عمره ولا يزال في نشاطه الفكري العميق الذي عهده قراء الاديب فـي مختلف اثاره التي يواصل نشرها .

* * *

لا يسع الآخذ نفسه بالبحث والتأمل في ادب اية لغة من لغات الامم المتحضرة الا ان يفكر في الوقت عينه ، في تاريخ الادب وفي نقده . ذلك لان ثمة قاسما مشتركا مرموقا يتمشى في هذه الاركان الثلاثة المتشابكة . ان الادب في العالم نوعان ، ادب عام وهو الكلام في العلوم الطبيعية والرياضية والتاريخية والجغرافية الخ ، وادب خاص وهو الكلام المأثور شعرا ونثرا ، وما يتصل به من علوم لغوية وتاريخية مما يتيسر فهمه ويحسن تذوقه واستمراءه ، ويجلو جماله . والادب الخاص ينقسم عند العرب وسواهم الى قسمين انشائي ووصفي . اما الانشائي فهو يصدق في مجموعه وجوهره على ادب الجاهليـة وصدر الاسلام ، في حين ان الادب الوصفـي الذي هو « تاريخ الادب » والنقد الادبي اطلا علينا في العصر العباسي بأقسامـه الاربعة ، وامتد بهما الزمن عبر العصور حتى الان . وليكن معلوما ان الركنين الاخيرين ليسا بحديثين ، بل هما قديمان ، فالجاحظ في البيان والتبيين وكتاب الحيوان والمبرد في الكامل وابن قتيبة في ادب الكاتب كتبوا في الادب الوصفي مثلما كتبوا في الادب الانشائي . وابو هلال العسكري في صناعته وابو الحسن الجرجاني في موازنته اصابا حظا كبيرا من النقد . ولقد استفاد هذا النقد من الخصومة العنيفة التي قامت بين انصار البحتري وانصار ابي تمام ، وبين انصار المتنبي وخصومه وهم ان يستقل .

وليس يخاف ان الادب عند الامم الغربية المتحضرة من قديمة وحديثة لا يدل على شيء غير هذا الذي يدل عليه الادب عند العرب وان كتابا « لتاريخ الادب العربي » بالمعنى الصحيح الكامل ، ليس له وجود البتة بين ايدينا اليوم رغم ما نراه من الكتب العديدة التي وضعها البسطاء المحدودون والادعياء . ولذا كان لزاما على ادبـاء العرب الاعلام ان تتعاون طائفة متخصصة راسخة في العلم لتأليف كتاب تاريخ ادب عربي لا يكون انشاء ولا اختراعا انما يكون تجديدا واصلاحا لما ترك القدماء . ولا ندحة لنا عن الاشارة الى ابداء فكرة في غاية الخطورة ، الا وهي اننا نحمد الله مئات والوفا لوجود الاداب الرفيعة والفنون الجميلة من موسيقى وشعر ورسم الخ . اذ هي الدرع التي تقي الانسان القسوة والتحجر القلبي اللذين قد ينزلان به من جراء العلوم الطبيعية والرياضية الخ اذا علمت وحدها دون الاداب والفنون وتلطف من حدة تلك القسـوة .

لم يكن من اليسير على الادباء في كل زمان ومكان ان يضعوا التعريف الجامع المانع كما يقول المناطقة للكلمة ادب فقد ذهبوا في ذلك مذاهب شتى يحفزهم الى ذلك قانون التطور الذي تخضع لـه ظواهر الحياة بأسرها . وقد لعب قانون النشوء والارتقاء هذا ادواره الخطيرة في مختلف العصور والاقاليم . ونحن لسنا بمعنيين بذكرها لا جملة ولا تفصيلا .

ان الادب عريق في القدم اي منذ ان اخذ الانسان في ان يتكلم ويكتب ويتحضر في الشرق كمصر والعراق ، والشـام والهند وفي الغرب كاليونان والرومان الخ . ولقد كان للادب الشرقي فضل على الادب الغربي ، وله عليه دين لم يسده كله بعد ، مثلما لـلادب الغربي الان فضل على الادب الشرقي الحديث . والادبان يلتقيان في معظم النواحي ، لان مصدرهما واحد ، وهو الحيـاة في مختلف ظواهرها . على انهما يفترقان في نواح اخرى ، وهذا الاختلاف ناجم في الاغلب عن ان لكل امة خصائص في مشاعرها ومداركها ، وعـن الطبائع الانسانية والاقاليم الجغرافية .

ولا خفاء في ان ادب الاديب الشرقي او الغربي لا يكمل الا اذا وقف كل منهما على ادب الاخر ، وبذا يكمل الواحد الاخر ويجلـو شيئا من الغوامض فيهما بل ييسر فهمه وتذوقه . وفي هذا مدعاة كبرى لفهم الرجل الشرقي للغربي والرجل الغربي للشرقي ولارساء قواعد السلم العالمي الذي لا تبشر احداث عامنا المنصرم وبوادر عامنا الجديد بخيـر اكيد . ان بني آدم لم يخلقوا للخصومة والعدوان ، ويا ليتهم يستبدلون السياسة والدعاية اللتين تغمران العلى والدنى بتعميم آداب كل امة على الامم الاخرى لان الروابط الفكرية اقـوى الروابط الانسانية جمعاء . ولا مفر من القول هنا ان تسعة اعشار متاعبنا ومصائبنا ناجمة عن تقصيرنا في فهمنا بعضنا بعضا جماعـات وفرادى .

## ماهية الادب

اعتاد الادباء البسطاء المحدودون والادعياء ان يعتقدوا ان الادب امر في غاية الصعوبة وان تحديده الجامع المانع كما يقول المناطقة ليس من الهنات الهينات والحقيقة التي لا مراء فيها ان تعريف الادب امر يسير لا يعدو ان يكون عند العرب وغيرهم من الامم المتمدينة اكثر او اقل من كونه الكلام المأثور شعرا ونثرا وما يتصل به من علوم لغوية وتاريخية تساعد على فهم الادب واحسان تذوقه . واذا اردنا ان نتناول الادب من شرقي وغربي في شيء من التحليل والوصف قلنا ان الادب القديم ـ شأن الفلسفة القديمة ـ كان يترفع عن نقـد المعاني وغاية الانظمة الاجتماعية والاقتصادية ، فكان الاديب يدأب في الاجترار ولا يغذو نفسه مما حوله بل كان يغتذى بالمؤلفات . اما الان فان الاديب الجديد يكاد ينظر الى الادب القديم نظرة باكـون الى العلوم القديمة ، ذلك لانه يشك في قيمة المقاييس القديمة . وهو يستخدم ادبه كما يستخدم الفيلسوف الجديد فلسفته لمصلحة

الانسان وخيره الحقيقي فهو يبحث في اساليب العيش والاجتماع ولا يكاد يبالي اساليب الكتابة .

واذا اردنا ادراك ما يعنيه التجديد في الادب في هذه الايام ، قلنا انه لا يعني سوى التجديد في الحياة ، وان الاديب الحديث يتصل بالحياة ويتاثر بها ويؤثر فيها ، وهو ينتقد اسلوب العيش اكثر مما ينتقد اسلوب الكتابة . وهذا خلاف ما نجد من طبقةالادباء التقليديين في مصر والشام وسائر اقطار المشرق والمغرب العربيين . فالاديب فيهما لا يسلم خياله من الاحلام في عدة مواقف ، وهو يعني باسلوب ابن المقفع والجاحظ وابن العميد والقاضي الفاضل ، ولا يعنى باسلوب الفلاح والعامل المصري والشامي والعراقي الخ . ولا يكتب الا النزر اليسير عما يعانون من المتاعب الاقتصادية او السياسية او الاجتماعية ، ولذلك كان ادبه في معظمه « ادب الكتب » والخيال الذي يجعله يعيش وهو في عزلة عن الوسط الذي يحيط به وعن واقعيات الحياة اليومية التي تجابهم ، وينحرف به احيانا الى العاطفة الخيالية غير المهذبة .

اما الادب الغربي الحديث ولا سيما اليوم فهو ادب الحياة لا ادب الكتب ، وهو ينتقد المعايش ويجد موضوعه في القصة والمقالة وهو كذلك يتصل بجميع انواع النشاط الانساني . وللاديب الغربي رأيه في العلم والصناعة والاقتصاد والطب والتعليم والصحافة . وخدمة للحقيقة لا معدى لنا عن القول ، ان طائفة قليل عديدها في مصر والشام اخذت تنهج في الادب هذا النهج الغربي الحديث مع المحافظة على ما هو جميل من الروح والتقليد الشرقيين ، مما يوطد فينا الامل في ان نرى هلالنا الاخذ الان في الطلوع ان سيصير بدرا كاملا باذن الله .

## مصادر آداب اللغة بوجه عام

غير خفي ان الامم تتشابه في طبائعها ومداركهـــا من اكثر الوجوه ، ومرجع هذ الفكرة ان الادب في كل امة انما هو تعبير النفس ، وحقائق النفـــس الانسانية في كل الناس مشتركة . ولذلك جاءت آداب الامم متشابهة في موضوعاتها ومناحيها وتاثيراتها ، لان آداب اللغة عند كل الامم كما عند العرب هي الكلام المأثور من الشعر والنثر وما يتصل بهما من عـــلوم لغوية وتاريخية ليتيسر فهمه واحسان تذوقه وادراك جماله . على انه لا يسعنا الا ان نجد ان لكل امة خصائص ومواهب تتميز بها عن سواها . وقد نجم عن هذا التفاوت في المواهب امتياز كل امة عن سواها بآداب اجادت بها وتناقلتها عنها سائر الامم . فاليونان تميزت بالفلسفة والشعـــر القصصي والتمثيل ، وعنهم اخذت باقي الامم ، وتميزت الرومان بوضع الشرائع والنظم السياسية والاجتماعية التي هي اساس شرائع اوروبا ونظامها الاجتماعي حتى اليوم . والهند بوضع القصص الخرافية على السنة الحيوانات مثل كليلة ودمنة الذي اذا خلت منه اية مدرسة اعدادية في قماطرها ومكتباتها لا تستحق اسم مدرسة لحكمته العملية الرائعة وانفراده بلغة واسلوب هما قديمان حديثان . اما العرب فقد ملأوا الدنيا شعرا ونثرا وادبا وفقها وتاريخا وهم قدوة الناس في المعاجم العلمية والتاريخية وفلسفة التاريخ التي كان ابن خلدون بطلهـــا واسبق الناس اليها فكان مبتكرا فذا في هـذه الفلسفة وفي علم الاجتماع ، ومقدمته ترجمت الى معظم اللغات الاوروبية حتى اللاتينية .

هذا ولكل امة من الامم الاوروبية مزية في شتى آداب اللغة ، فالفرنسيون اهل فصاحة وطلاقة في الكلام والانشاء ، والالمان يمتازون بابحاثهم الفلسفية العويصة وتتبع الموضوعات الـى اقصى جزئياتهـا ونقدها وتوسعهم في قواعد اللغة . اما الانكليز فيمتازون بجنوحهم الى الحقيقة المحسوسة في آرائهم ، فلا يبنون بحوثهم الا على الواقع وترى ذلك ظاهرا في اعمالهم واخلاقهم . وهم يقفون موقفا وسطا من حيث العمق بين الالمان من جهة وبين الفرنسويين والاميركان من جهة اخرى . والايطاليون معروفون بتفوقهم في الفنون الجميلة ، فهم شديدو التاثر باعمال الطبيعة وظواهرها .

## تشابه الآداب في جميع الامم

على ان تفوق بعض الامم في بعض الاداب الرفيعـة لا يمنع تشابه تلك الامم في سائر الآداب . واما الامم الشرقية القديمة ، فلم تجمع آدابها وليس لدينا منها ما يصح اتخاذه مثلا لنا . والامم المتمدنة في اوروبا واميركا ترجع آداب لغاتها الى اللغـــة اللاتينية اي لغة الرومان . وهؤلاء اقتبسوا معظم آدابهم من اليونان . فآداب اللغة اليونانية خير مثال لآداب لغات العالم المتمدن لانها اساسها كلها من حيث الادب والشعر والفلسفة وسائر العلوم القديمة . وما من ادب او علم او فلسفة في اللغة الفرنسية والانكليزية والايطالية وغيرها الا وله اصل او اساس في اللغة اليونانية . فان الانياد في اللغة اللاتينية لفرجيل نسخة عن الالياذة لهوميروس ، وكذلك فردوس ملتون وجحيم دانتي وغيرهما . وعلى ذكر جحيم دانتي لا ندحة لنا عن القول : ان استاذ الادب في جامعة مدريد ذكر في كتاب وضعه منذ بضع وعشرين سنة ان جحيم دانتي مأخوذ معظمه من رسالـة الغفران لابي العلاء المعري وقد وافقه على ذلك كل من المستشرقين في الغرب ما عدا الايطاليين منهم . وقد تكون رسالة المعري هذه اعظم ما كتبه العرب قاطبة فانها آية في الابتكار الرائع ومعجزة في الخيال الواسع العميق والجميل .

## آداب اللغــة العربيــة

ان آداب اللغة العربية هي اغنى آداب اللغات السابقة ، بل قد تكون على الإجمال اغنى آداب لغات العالم . ذلك لان الذين وضعوا آدابها في اثناء التمدن الاسلامي مزيج من امم شتى جمعتهم الدولة الاسلامية . وقد اربى عدد تلك الامم على الثلاثين وكلهم تعربوا والفوا الكتب العربية في الادب والنحو والتاريخ والطب والعلم والفلسفة . وبذلك احتوت آداب اللغة العربية على احسن القرائح وشتات الاخلاق والآداب والطبائع ، فادخلوا فيها الكثير من اساليب ألسنتهم الاصلية دون قصد او تعمل . وربما كان اقرب ادب اجنبي لادب اللغةالعربية من هذه الناحية الادب الانكليزي ، الذي اذا رأى اربابه اي كتاب فيه جداء وغناء بادروا الى نقله الى لغتهم ولا يزالون يبادرون . دع عنك عباقرة الكتاب في ما كان لهم من مستعمرات ولا سيما الهند والباكستان اللتين اغنتا بعض النواحي في الادب الانكليزي غنى رائعا وخلقتا نوعا من الادب الانكليزي له طابع شرقي جميل . وفي لبنان وضع ادباؤه وكتابه الاكبران جبران والريحاني كتبا عديدة . وترجم الريحاني حظا وافرا من شعر ابي العلاء الى الانكليزية . وكانت بعض كتب جبران تقتبس وتقرا في بعض الكنائس الامريكية . وفي مصر ترجم « كتاب الايام » لطه حسين الى الانكليزية وقد كان ارقى كتاب الف في سنة تاليفه . يضاف الى ذلك ترجمة شطر كبير من شعر حافظ الشيرازي وعمر الخيام الخ . وقــد تكون اللغتان العربية والانكليزية متشابهتين ايضا في كونهما مفهومتين ومتحدثا بهما في طائفة كبرى من اقاليم المعمور .

اما الكلمة العربية « ادب » فقد جرى للــوقوف على أصلها وتقصي معناها الى جزئياته بحوث طوال ، على اننا نجمل كــل ما قيل في اصلها ومعناها في بضع من العبارات فنقول : ان لفظة « ادب » في معتقد البعض مأخوذة من الادب بمعنى الدعوة الـى الولائم وفي معتقد غيرهم مأخوذة من الداب بمعنى العادة . وهي لم تؤخذ من المفرد ، بل من الجمع آداب ثم قلبت فصارت آداب عـلى نحو ما جرى لبئر آبار ورئم آرام . وربما دخلت في لغة قريش في

## تشاؤم

عميت عيوني وانطفا نجمي
ومشيت خلف جنازة الحلم
والليـل .. آه الليل يرعبني
والدرب .. ضاع الدرب يا امي
أواه لـو افنـى جنـاح رؤى
ويمـوت قيد اللحم والعظم
ويذوب قلبي في الوجود هوى
ويـروح في لثـم وفي ضـم
وتعـود اجنحتـي مصفقـة
ويعـود عهـد الحب والسلم
ماذا يريد الدهر مـن كبدي
كم راش لي في الليل من سهم
والدهـر أقسى مـا يكون اذا
فـي الحـر اغمد خنجر الظلم

دير الزور ـ سورية طلعت يازجي



اثناء العصر الاموي انتقلت اليها من احدى اللغات العربية التي ضاعت . ولقد كانت تدل منذ العصر الاموي على شيء مثل الشعر والخبر . وكانت تدل على معنى دماثة الخلق ورقة الطبع ، وكان الناس يفهمون من لفظة الادب كلا المعنيين طوال العصر الاموي الى يومنا هـذا .

ان الادب العربي في حاجة الى الوقوف على آداب لغات الامم الاخرى ليستفيد من موضوعاتها واتجاهاتها كما تفعل كل امة حية الان ، فلم تترك اية امة راقية ادبا من الآداب الشرقية والغربية الا وقفت قومها عليه . فلو شاء انكليزي او فرنسي او الماني ان يعرف اي ادب صيني او ياباني او هندي او فارسي او اي ادب اخر ، لوجد من كل ذلك الشيء الكثير في لغته . وقد استغل ادباء كل امة الآداب المشهورة خير استغلال فاستغلوا القصص الهندي مثل الف ليلة الذي له اكثر من ترجمة واحدة في كل امة حيـة، وفي الانكليزية له عدة ترجمات اعتيادية وادبية راقية . وربما نجمل هنا الاشارة الى ان هذا الكتاب لم تقو على الاتيان بمثله الامم الاسكندنافية وبعض الولايات الالمانية ممن اشتهروا بمحاولة محاكاة الف وليلة . وقد يكون هذا الكتاب هو الاول من الكتب العربية في سعة انتشاره ومعرفة كل الامم الراقية له . واستغلوا رباعيات الخيام الذي له في لندن وحدها اربعة نواد ، وشعر حافظ الشاعر الفلسفي ، وكذلك استغلوا الشعر الجاهلي الذي ترجمه المستشرق ليـال ، وترجمه غيره الى اللغات الاوروبية الراقية . ولقد كان عندي كتاب في شرح المعلقات والتعليق عليها الفه ضابط بريطاني ونجح في التوفيق بين الشروح القديمة والحديثة وبين الشرقية والغربية . ومن القريب والواقع ان الادب لم يعـد ملكا للامة التي تنتجه بل صار مشاعا لكل امة يقظة واصبح شأن الادب شأن البريد وغلات العلم والمستكشفات الطبية العلمية ليست ملكا لاحد حتى ولا لمخترعيهـا .

### حاجة العرب الى الآداب الاخرى

ومما يؤسف له ان النهضة العربيـة في الدولة العباسية تأسست ، وكان هذا طبيعيا ، على انها لم تترجم الادب . فاستغلت كل معارف اليونان والهنود والفرس وغيرهم ، ونشأ من هذه الخسارة العظيمة ان صار الادب العربي ـ ولا سيما الشعر ـ لا يجري الا في المجرى الذي شقه الادب الجاهلي . والتقدم الذي جرى فيما بعد لم يعد وسيع المجرى القديم ولم ينشىء مجرى جديدا او يحفر روافد جديدة تمد المجرى الاصلي . ولو انشيء ذلك لكان لنا تنويع في البحور والموضوعات ولكان لنا شعر قصصي كالملاحم وسواهـا وشعر تمثيلي كشعر شكسبير ، وقد قلده شوقي تقليدا بسيطا . ومن بواعث سرورنا ان شعرنا اليوم يتناوله شيء من انشاء مجرى جديد او حفر روافد جديدة وان ادباءنا هبت طائفة صغيرة مباركة من اعلامهم تبذل اقصى الجهود لكي لا تقع في نهضتنا الحديثة في الخطأ الذي وقعنا فيه في النهضـة العباسية . وهي تحاول الان في حزم واخلاص ان تنقل الينا شيئا من آداب لغات الامم الحية فتضع لنا كتابا في الادب اليوناني واخر في الروماني واخر في الهندي واخر في الفارسي والانكليزي والفرنسي والالماني . ورغم الصعوبات التي تلازم هذه المساعي العظام اقبل الدكتور محمد مندور على الادب اليوناني فدرسه دراسة دقيقة وقدم لنا فوائد كثيرة فيه ، والدكتور حسن عثمان على موضوع دانتي ، والدكتور عبد الوهاب عزام على الادب الفارسي القديم فزاد فيه وكتب موضوع الادب الفارسي في القرون الوسطى . وقد قامت في طريق تلك الجماعة المباركة عقبة تكاد تكون كأداء وهي ترجمة النماذج والنصوص اليونانيـة والرومانية والهندية الى العربية . وبذلت قصارى الجهود في هـذا السبيل ولا سيما في النماذج الشعرية التي يكون نقل جملها اللفظي والمعنوي شبه المستحيل ، اللهم الا عند كبار الملهمين الادباء المطبوعين علـى الشعر والادب .

### الختـــام

ولا باس من القول هنا اننا نعلق اهمية كبرى على البحوث التي ترمي الى بيان العلاقة بين الادب العربي وغيره من آداب الامم المتمدنة ، وبين الحياة عموما والحياة الاجتماعية خصوصـا ، واثر المجتمع ومدنيته ونظمه والبيئة الجغرافية في مختلف الفروع الادبية من مقالات وقصص وروايات ورسائل وكتب . فأمامنا مجالات واسعة من الروايات النقدية للحياة الاجتماعية وما اليها . اننا نعلق اهمية كبرى على ضرورة ان يكون كل انسان اديبا بمعنى انه اذا قرا قصة او مقالـة او قصيدة تذوقها واستمراها وناله شيء من لين الجانب ودمـاثـة الخلق . ان للآداب الرفيعة والفنون الجميلة فضلا عظيما في القاء القسوة التي قد يجنيها الانسان من العلوم الطبيعية اذا لم تكن له حصانة من الرقة ، والدماثة الطبيعيتين او مما يجنيه من الموسيقى والشعر والتصوير وما اليها . ان تلك الطائفة المباركة من الادباء في شرقنا العربي والبوادر المشجعة التي نشهدها في مجامعه العلميـة واللغوية وفي من اخذوا النفس في الجامعات الشرقيـة والغربية بالتخصص او التعمق في آداب الامم المتحضرة بحيث يفهم الانسان اخاه الانسان فيقترب العالم بعضه من بعض ويسود التفاهم بين الشعوب والاقطار فننعم بحظ من السلام الحقيقي المبني على الروابط الفكرية التي هي اقوى الروابط الانسانية .

القدس حبيب الخوري

# خدوج الرصفية وليلى العامرية

بقلم ناجية ثامر

* * *

لم تحرم بلاد افريقيا من نساء اديبات وشاعرات اضاء شعاع افكارهن الاقطار ، واحتفظ التاريخ بذكرهن ، وان تكن آثارهن قد تفرقت وتبعثرت ، الا انه لا بد ان يعثر الباحث على بعضها ، ويستطيع نقدها ، ويتعرف على مدى تفكير المراة وتطورها ، والشيء القليل يغني عن الكثير كما يقول المثل ، وحين يريد الباحث معرفة جودة الارض يكتفي بفحص حفنة في باطن يده منها ليحكم على ما تضمه ذراتها من خصب وجود او جفاف وقحط ...

في اواسط القرن الرابع للهجرة ، نبغت في مرفأ يعرف باسم « الرصفة » اديبة فصيحة من عائلة عربية حلت اوائلها بعد الفتح الاسلامي في البلاد التونسية واستوطنتها ، وسمعت امواج بحره المتلاطم همسات اديبتنا التي كانت تجلس على شاطىء المرسى وترنو بانظارها لبعيد ، لتبث للامواج بما يعتمر في صدرها من عواطف يشبه تلاطمها تلاطم الامواج التي تشاهدها عيناها محاولة استجلاء الافق البعيد ، عما يخبئه لها القدر من خفايا واسرار .. فشاعرتنا هذه استلطفت شابا ظريفا من عائلة شريفة اسمه «ابو مروان عبد الملك بن زيادة الله» تعلق بها قلبه ، ومالت هي بدورها اليه ، وتفتحت قريحته قصورها في شعره ، ولكن هذه العاطفة الشريفة البريئة ، شاعت بين الناس وتعالى الهمس حتى وصل لاذان الاخ المسيطر على العائلة ، فمنع اخته من مقابلة الشاعر ، وحكم بالتفريق بينهما ، لا لسبب سوى لانه لم يرض ان تزف اخته لشاب ذكر عنه انه اضمر لها الحب قبل ان يتقدم لخطبتها ، وكأن القدر شاء ان يسطر على صفحات افق ذلك المرفأ الصغير « الرصفة » نفس المأساة التي مثلها قيس وليلى ، في مكان بعيد ، في بادية نجد الواسعة ، ولو وجدت قصة « خدوج الرصفية » قلما بارعا يخرجها كمسرحية ويضع فيها الكثير من التفنن والعبقرية كما فعل احمد شوقي بقصة مجنون ليلى ، لاشتهرت اشتهارها ، ولبلغ كاتبها القمة كما بلغ شوقي. فهذه خدوج فعلت كما فعلت ليلى بالتمام ، حين شاء ابوها ان يفرق ما بينها وبين قيس ، وهي وان ثارت داخل نفسها ، الا انها طاطات راسها امام الامر المقضي ، ورات ان لا حكم الا حكم اهلها ، فهم الذين يأمرون ، وهم الذين يتحكمون في مصيرها ، وان يكن في حكمهم صك تعاستها وشقائها .

فكما خاطبت ليلى قيسا حين دعاها للفرار معه على لسان شوقي :

**ولست بارحة من داره ابدا    حتى يسرحني فضلا واحسانا**
**نحن الحرائر ان مال الزمان بنا    لم نشك الا الى الرحمان بلوانا**

خاطبت خديجة اخاها بهذه الابيات :

**اخي الكبير وسيدي ورئيسي    ما بال حظي منك حظ بخيس ؟**
**ابغي رضاك بطاعة مقرونة    عندي بطاعة ربي القدوس**
**يا سيدي ما هكذا حكم النهى    حق الرئيس الرفق بالمرءوس**
**واذ رضيت لي الهوان رضيته    ورايت ثوب الذل خير لبوس**

رفض اخوها طلب ابي مروان ، لا لذنب جناه ، سوى لانه أعلن لها ميله في بعض اشعاره ، وقد توسلت اليه ان يكون رفيقا بها عطوفا عليها : حق الرئيس الرفق بالمرءوس ...

فهو الحاكم بأمرها المسيطر على حياتها ، يفعل بها كما يريد ، ولكن هذه السلطة المطلقة عليه ان لا يستعملها ليحكم عليها بالشقاء ، لان الرفق مطلوب من الحاكم ، ورغم هذا فهي ترضى بحكمه وان يكن مجحفا في حقها ، قاضيا على سعادتها وهنائها :

**واذ رضيت لي الهوان رضيته    ورايت ثوب الذل خير لبوس**

ولكن يظهر ان الاخ كان لا يقيم وزنا لعواطف اخته ، ولا يراعي شعورها ، فلقد كان همه كله منصرفا للتقيد بالتقاليد والعادات التي تحتم عليه فصم هذه العلاقة ، وقطع السنة السوء ليبقى ثوبه نظيفا من كل شين ، ففي يوم قريب ستزف اخته الى رجل اخر ويعرف القاصي والداني ان اخته خدوج الرصفية شريفة عفيفة تستحق ان تنتسب للنسب الشريف الذي ينتسب هو اليه ، وان ما ذاع عنها انما كان مجرد اقاويل لا قيمة لها ولا اعتبار ...

ففي رد ابي مروان عن بابه وقبول خطيب اخر ، محو للطخة التي لحقت بالعائلة كلها من جراء السنة السوء واقاويل الناس . ما قيمة شعور خدوج ، وما هو وزن عواطفها ، واية اهمية لاحساساتها المتضاربة ازاء شرف عائلة بأجمعها ؟...

ولهذا توسلت خدوج وتذللت واستعبرت ، وثارت، الا أن ثورتها لم تتعد صدرها المكلوم وقلبها الجريح ، ووضعت الامر كله بين يدي اخيها ، لانها كانت هي ايضا معتزة بشرف عائلتها ، لا تريد ان يلحقها اي سوء من جرائها ، وانما رجت الاخ ان يكون رفيقا بها قبل ان يصدر حكمه النهائي ... وهذا الحكم ستقبله مهما كان لان ثقتها بأخيها كبيرة ، وسيفعل ما يوجبه عليه عقله وما يراه صالحا بها ...

وكما قالت ليلى مخاطبة قيس :

**الداء يا ورد في مجتهد    ملتهم هيكلي وما شبعا**
**اصبحت لا اشتهي الطعام    ولا يحمد جنبي الي مضطجعا**
**قلبي من الياس حين حل به    احس يا ورد انه انصدعا**
**لم يحمل الياس ساعة ولقد    كان بما حملوه مضطلعا**

# الطرقات

لا تترك وجهي يذهب عبر الريح بعيدا
او يشرد في الطرقات
لا تتركه يصبح بابا من ثلج
تجمد ان لمسته عيون البسمات
لا تتركوجهي يبحر فيصمت الليلبلا زورق
لا تتركه يغـرق
فالشمس الخضراء هنا في اعماق القلب
صارت فرسا سوداء وغابت
تبحث عن عمر الحب
العمر الملفوف باغصان الخوف
العمر المجلود هنا
في اكبر ساحات الصيف
المقتول بلا ذنب
يرصده للوجه الحائر في كل الجبهات

يا من تلمح في عيني عذابك
تشهد في روحك نار الخيبه
وتعيش بلا معنى
تطردك اللعنه
فكمن يبدو .. من اول عمره محبوسا في
زنزانة حزن
اصبحت بعينيك غمامة رمل
مهلا .. لا
انا ما زلت سحابة خير
ابعد عن قلبك جيش النمل
يا منتتركني ابحر فيصمت الليل بلا زورق
او اشرد في الطرقات

حلب — لؤي فؤاد الاسعد

المتمنـي بـالعيش متنغـص — ولـن ترى بالسا بنه التقفا
القدر اليوم والقضاء علـى — حريك قيس وحربي اجتمعا

خاطبت خدوج ابا مروان بهذه الابيات :

فرقوا بيننا فلما اجتمعنا — فرقونا بالزور والبهتان
ما ارى فعلهم بنا اليوم الا — مثل فعل الشيطان بالانسان
لهف نفسي عليك بل لهف نفسي — منك ان بنت يا ابا مروان

لقد قبلت خدوج الحكم الذي كان قاضيا بالتفريق ما بينها وبين الشاب الذي وضعت كل آمالها واحلامها ، وطلبت بنفسها من ابي مروان ان يبتعد عنها رغم ما في هذا الطلب من قسوة وعذاب لكليهما ، وهي لم تضع الذنب في ذلك على عاتق اخيها لانها تقدر موقفه وتعرف انه بهذا يحاول ان يحافظ على شرفه ، بل وضعت الذنب على عاتق الناس الذين يتدخلون في الامور ويهولونها ، ويضيفون عليها الشيء الكثير من ظنونهم التي قد لا تستند على الواقع في شيء في كثير من الاحيان ... افلا تشبه اعمالهم اعمال الشيطان ؟

لقد احنت راسها امام حكم الاخ ، وفهمت موقفه ، وقدرت ظروفه ، ودعت ابا مروان للابتعاد عنها ، ولكنها بهذا بقيت في حيرة وعذاب ومضض ، لا تدري افعلت بهذا خيرا ام شرا ، هل كانت مصيبة ام مخطئة ، لقد اذعنت للقضاء وقدرت الظروف ، ولكنها لم تستطع القضاء على الثورة التي تعترم في صدرها ، من جراء الظلم اللاحق بها وبابي مروان الذي كان قصده شريفا ، وغايته الوحيدة ربط حياته بحياتها ... فالفكر النير ليس كالفكر البسيط ، ولهذا يبقى في حيرة وقلق حين يشعر بأنه لم يكن على حق في فصم بعض الامور ، لا لشيء الا ارضاء للآخرين ... وبأن فصم الامور على مثل هذا الشكل يتعارض مع ما يمليه الوجدان والضمير ...

هكذا نرى ليلى العامرية ترضخ لحكم اهلها ، ولحكم المجتمع ، ولكنها تثور في داخل نفسها لهذا الحكم الجائر ، وتفعل خدوج مثلها ، فتطاطيء راسها للقدر ، ولكن الثورة تضطرم في صدرها ، وتسيل النجوى اشعارا رقيقة على لسانها ...

ولو سلط شاعر فحل الضوء على هذه الشاعرة كما سلطها شوقي على ليلى، وانطقها في مشاهد عدة، فحاول ان يتصورها بخياله الفذ ، وعبقريته النادرة ، لبلغت قصة خدوج الرصفية الشهـرة والمجد اللذين نالتهما ليلى العامرية ...

تونس — ناجية ثامر



نسيم نصر



# من ذكريات معلم

بقلم نسيم نصر

* * *

اتمثلني في حديقة مقهى الروضة في حمص ، عشارى نهار لبعض ايام الاحاد من شهر نيسان سنة ١٩٣٣ ، وقد حفلت جنباتها بالجالسين فرادى وجماعات ، يستقبلون دفء الربيع في عروس الوعر . واذا كانت حمص قد استحقت هذا اللقب قديما لما تتميز به من انس بالنسبة الى وحشة السهول التي تكتنفها ، فانها بعد ان خرجت من عزلتها الاجتماعية التي فرضتها عليها تقاليد شديدة المحافظة ، اخذت تنتقم من تلك العزلة باقبالها على المخالطة جهرا ، ولكن مع الابقاء على الحرمات الجنسية في حدود الكرامة واللياقة .

وبينا انا ماض في حوار طريف مع صديق لي حول مشاهد تلك الحديقة الحديثة العهد وما تعبر عنه من صراع بين امس واليوم : فهنا نارجيلة كان قاعدة نارها فوق زجاجة مائها مدخنة سفينة تصعد دخانها انفاس ساهم ينفخ في نربيج طويل كانه حبل النجاة او سلسلة المرساة . وهناك حلقة عائلية قد استدارت حول طاولة تحولت الى مائدة بما عليها مما يتفكه به المتنزهون ، ولاسيما المتنزهات . وهنالك لاعبان بالنرد ـ الزهر ـ ، وحولهما المراهنون على الغلبة ، فكان اللعب قد تحول الى رهان في سباق جياد . وبينا انا كذلك ، جاءني زميل لي يدعوني للانضمام الى حلقة ادبية كان واسطة عقدها شاعر معروف بسذاجة وجدانيته الغامرة المتهادية في عبارة تتميز بالطبع والسهولة . وكان صاحبي قد عرف مني انني اتوق الى رؤية هذا الشاعر والتعرف اليه . وما ان بلغت مجلس الرجل واخذت مكاني بين جلسائه حتى استأنف رواية مقاطع من شعر له حديث النظم ، وهو مدل بسلطانه على تلك الحلقة التي كانت تصغي ، « وكان على رؤوس افرادها الطير ! » وبدا للشاعر ان يأخذ قسطا من الراحة ، فاشار الى فتى في بزة عسكرية ، كان قبالته في الوسط الاخر من الحلقة ان يروي شيئا من شعره . وعطف على جمهوره فعرف اليهم الفتى ، قائلا : هذا فلان من لبنان ، من آل البستاني ، طالب في المدرسة الحربية ـ وكانت المدرسة الحربية ، آنئذ ، لسورية ولبنان ، قائمة في مكان منعزل من جوار حمص . ولبى الشاب البستاني رغبة مقدمه شاعرا ناشئا ، فروى بعض مقاطع شعرية ، ما ازال اذكر انها تنم عن شعور مرهف وادراك مبكر للقيم الانسانية المخزونة في صدور الشباب ، وان كنت لا اذكر منها ولو بيتا واحدا بحروفه .

وفرغ الفتى من رواية ما تيسر من شعره ، واراد ان ينوع الحديث ، فخطر له ان يعرف راي صاحبه الشاعر علنا ، اذ كانت وفاة احمد شوقي الذي عرف « بامير الشعراء » قد افسحت مجالا لعرض الراي في الجواب عن هذا السؤال « من ترشح لامارة الشعراء ؟ » ورد سيد الحلقة ، الشاعر ، على الفتى اللبناني ، قائلا : « يبدو انك قد فكرت في هذا الترشيح قبل الان ، فسم لنا من رشحت » . فأجاب الفتى اللبناني : « ارشح الاخطل الصغير . »

فتململ الشاعر ، وابدى ما سمحت به صراحته من امتعاض لهذا الاختيار ، ومضى يقول : « ليس للشعر ولا للشعراء امارة ولا امير ، وان كان لا بد من اسم يذكر في هذا المقام من التنويه بتقديم شاعر ، فانا استبعد الذي ذكرته . »

وفي وجوم من الفتى الذي عرض اسم الاخطل الصغير لهذا الاستبعاد الجاف ، ابتدرت صاحبنا متصدر الجلسة ومصدر الحكم بقولي :

« يشرفني ان يكون اجتماعي بك اليوم ، يا شاعري اجتماع تعارف ويسوءني ان يكون في الوقت ذاته اجتماع معارض في بعض الرأي .

اما قولك ان ليس للشعر ولا للشعراء امارة ولا امير فهو قول اراه عين الصواب وقلبه . واما قولك باستبعاد الشاعر بشارة الخوري في عبارة جازمة ، فهو قول يعوزه الدليل فان شئت فهاته » .

ومال الشاعر نحوي ميل من فوجىء بمعترض لم يكن يتوقع وجوده في تلك الحلقة التي هو محورها وقال :

# وحشــة

يا رفيقي !
نبح الليل على صمت الطريق
انجم زهر تبدت واجفه
وتعرى النور الا
من ظلال راجفـه
وانا مع وحشة السر العميق
أنهب الارض على غم وضيق

وتناءت صور الاشياء لما
كان صوت عبر الليل وثارا
اطبق الوهج جناحيه وطارا
مثلما نار وصلت في عروقي
مثلما خيط الشروق
عتمة الريح انـارا

وتراءت كلمات
من سحاب ودخان
رقصت بضع ثواني
« ايها الانسان في وحشة دربك
غارقا كالظل في صمت المكان
قدر تحياه ان انت خطوت
ما انتهيت
قدر ان تولد الايام في عينيك
مصباحا وظلمه
وجراحات وآلاما وبسمه » .
يا رفيقي !
وانتهى الليل وخلفت طريقي
عابرا كالشعلة البيضاء في افق حياتي
ان في الريح خطى من خطواتي

**موسى صرداوي**

بشارة الخوري شاعر غزل ، والغزل اول درجات الشعر ، فلا يؤمر من اقتصرت اجادة شعره على هـذا الباب من الشعر . واذا حدث وقليلا ما يحدث ، ان رثى فلا يتورع عن ان يحشر شيئا من الغزل فيه استبقاء لاواصر الغزل موصولة بما خرج اليه عن دائرة الغزل ، صنيعه في رثاء شاعر النيل ، اذ قال :

**شاعر النيل جز طريقك للخـلـد وخلهـا لمن تحـب صـداقـا**
**درة صاغها الـذي ترك الحسـاد تجـري ولا تطيق اللحـاقا**
**كلمـا اطبق الغبـار عليهـم حشرجـوا تحته وماتوا اختناقا**

ثم اعتدل في جلسته واردف قائلا : في هـذا القليل الذي قلت ورويت ، شاهد صريح الدلالة علـى صحة رايي .

فرددت عليه بقولي : « لا ارى على سعة معرفتك ونبوغ شعرك بأسا من اسماعك رايا يخالف رايك . فأحكام النقد الادبي(بالدال) يتناولها النقض الذاتي(بالضاد)احيانا، اذ انها قائمة على تقدير قيم لا على تقرير حقائق . فاذا كنت يا سيدي ، لم تقرأ لهذا الشاعر غير الغزل ، فلا يجوز لك ان تصدر في حكم علني كهذا عن قراءة جانبية تناولت على اساسها ، شاعرا انفتحت له آفاق الشعر علـى رحابها ، فاجاد وابدع في الكثير مما تناول . وليس ما ذكرت له من شعر في الرثاء غير آية فن لا توسـلا الى غرض .. وتجميد الكلمة الشعرية مشدودة الى متناولها المادي هبوط بالشعر عن مراتب الجمال الى درك الاسفاف

اما الغزل في شعر الاخطل الصغير فقد انبث من صميم الوجدان ، وصدر عن قواعد اصالة الانسان ، في « المسلول » او « الريال الزائف » حيث جسد بشارة الخوري الحرف فتنة من مفاتن القلب مروحا برواء الفن ما يغيم على الالفاظ من ظلال الاباحية ، معطيا من خلال القصص الغزلي عبرا من الاخلاق . وهذا الغزل الذي كثر في شعر بشارة الخوري ليس حجة عليه بل له في مجال الكلام على الاجادة والتفوق ، او « التامير » ان صح التعبير .. !

وانطوت ثلاثون سنة على انفضاض تلك الحلقة في حديقة مقهى الروضة في حمص ليلتقي بعدهـا ، في مهرجان شعري اقيم لتكريم الاخطل الصغير ، مندوبون عن سائر الاقطار العربية خرجوا من قاعة الاونيسكو في بيروت ، وقد امره على شعراء العرب اكثر من مندوب ، على الرغم من شهرته باسم : « شاعر الهوى والشباب »

**نسيم نصر**



# الحارس والفجر

بقلم عبد الله رستم

كان يبدو في وقفته الجامدة عند السور الحديدي المنخفض كشجيرة بين اشجار السرو المنتصبة على طول رصيف الشارع ، الراقد بأمن وسكينةوسط الليل ، وقد اصطفت على جانبيه البيوت الكبيرة الغافية على هدهدة حفيف اوراق الشجر المنبعث من الحدائق الواسعة ، المحيطة بالبيوت الفخمة ، وعبق الجو برائحةاشجار البرتقال .

كان يقف بجمود ، فتصفعوجهه المتغضن ريح باردة ، وتهز جسده في رعشة خفيفة ، لم يمنعها المعطف الكاكي الثقيل ، الذي احكم اغلاقه على جسمه ، ورفع ياقته العريضة حول رقبته ، واستكانت على كتفه البندقية العتيقة ، والتجأ بكفيهالى جيبي معطفه الواسعين . وعيناه تدوران في فراغ دون ان تستقرا على شيء ، فتبدوان على ضوء مصباح الشارع القريب وتوهج سيجارته الملتصقة بشفتيه وكانهما تفتشان عن شيء مجهول فيالشارع

وفكره كان في شغل عن الشارع والبيوت والصوص والبرودة .. وعن تلك الحرارة التي لا يدري من اين تنبع في داخل جسده ، رغم الرعشة والريح القارصة . كل حواسه وافكاره اجتمعت في نقطة مضيئة وهاجة عند الفجر المنتظر .. القادم ببطء ، والذي يبدو متعززا، فيؤخر اطلالته ، وكأنه يعلم انه في انتظاره بلهفة وطول صبر .. مع هذا الفجر يطل العيد ، ومع العيد ستطل العيديات والملبس والكعك ، ومع كل هذه سترتفع الى وجوه عائلته البسمات . سيذهب الاولاد الى المراجيح ، وتطبخ لهم ( حسنة ) الرز والباقلاء الجديدة . يقولون ان الكيلو بمئة فلس ! هيه .. سيستطيع ان يشتري كيلوا ونصف قبل عودته اليهم . لا بد انهم الان مثله يتطلعون بعيون مفتوحة متلهفة راجية للفجر. زوجه ( حسنة ) تنتظر الان ان يهل عليها من الباب المنخفض لحجرتهم ، لتسرع بعينيها الى يده لتطمئن من وجود صرة المنديل الكبير ، الذي حرصت ان تضعه في جيب معطفه قبل يوم .. ثم لترفع نظرها الى وجهه تفتش عن ابتسامته بين شفتيه ، حينذاك تهب لاستقباله بشوق الغائب من سنين ، وتقبل يده .. وهي تتمتم بحياء جاف :

ـ الله يساعدك ابو حمد .. .. عيدك مبارك .. انشاالله تزور بيت الله ..!

ثم يندفع وراءها الجيش الكبير .. حمد وسعدية ونجم وحمود ليقبلوا يده ، وعيونهم النهمة لا تبتعد عن الصرة ، حتى ( منذورة ) في قماطها سوف لن ينسى ان يلقي عليها نظرة ، ويؤكد لنفسه انها هي الاخرى سوف تتطلع الى يده ..!

حرارة راسه يبدو انها تتحدى برودة الشارع ، فتزداد ، وتزيد من ثقل راسه . كتفاه يعجزان عن حمل البندقية ، فيخرج يده بتكاسل مخذول من جيب معطفه ليتناول البندقية الثقيلة ويضعها بين قدميه ثم يرمي بثقله عليها . الليلةتطول.. وكأن عمرا يمر .. متى سيخرج الفجر من مخبئه ؟! من بعيد يأتيه صوت صافرة زميله في الشارع الاخر .. فيبدو كأنين واهن قد اتعبه قطع كل تلك المسافة .. او لانه خشى ان يخترق الحيطان الصامتة فيزعج الراقدين . التقطت اذناه الصوت بصعوبة بينما زم شفتيه بتبرم . اخرج الصافرة ونفخ بها بقوة ، فخرج صوت مريض .. كانه همس محتضر .. لماذا لم يستسلم لالحاحات زوجته في ان يأخذ اجازة ..؟! ولكنه احس بما بين طيات كلامها من برود وامل في ان يصر في عناده . وحتى بدون اجازة كان يمكنه ان يرتاح في فراشه حين حاول زميله اللعين ( عبد الكاظم ) ان يسرق ليلته هذه ، لقد راح يصب كل ما في جعبة الانسان من عطف على راسه .. وكانه اصبح فجاةملاك رحمة هبط من السماء ..

ـ لا تهتم يا جسام .. انتمريض والله يساعدك .. روح للبيت ارتاح وآني آخذ نوبتك ..! ثم يتأفف بحسرة وهو يبسط كفه على جبين جسام ويقول بألم :

ـ لا يا جسام .. حرارتك عالية، تحتاج لراحة ، والاخوان لبعضها يا جسام .. لا تهتم ، اي نعم .. الاخوان لبعضها .. ولكنه كان يعلم ما خلف هذا العطف وتلك النوبةمن التضحية . يريد ان يسرق منه ما انتظره كل تلك الليالي التي قضاها بأمل هذه الليلة . الا يدري ما تعنيه هذه الليلة !!

كيف سيستقبل الاولاد العيد .. وبم سيخرجون مع اولاد الحارةالى ( المراجيح والفرجة ) .. وماذا ستقدم حسنة لضيوفها من الاقارب الذين سيفدون من الجنوب ككل عيد ..؟! والحاج ابو محمد كيف سيقنع رأس الشهر حين يعجز عن دفع ثمن ملابس العائلة التي اخذت منه اكثر من ساعة في محاورةذليلة واقناع لحوح :

ـ تدري يا حجي فرحة الاولاد بالعيد ، والعمر فات عليهم .. انشاء الله قبل راس الشهر فلوسك

قصة

## غرور وحيرة

تـرى مـا زال يهوانـي — ويهوى صوتـي الحانـي
ويرجمه صـدى همسي — فتى من عـالم ثـان
ويسكره شذى عطـري — ويغمـر قلبـه العانـي
فيغدو تائهـا ثمـلا — كخدن الدن والحـان
ويشغفـه فتـور قـد — عـرا طرفـي فاوهانـي
فاذ بـي مرتـع مغـر — لنعمـاه تلقانـي
واتركـه لحرقتـه — واغلـب فـي اذعانـي
واكتـب فيـه اشعـارا — تضـوع بنبض وجداني
فتحملـه رؤى شعـري — بعيـد العالـم الفانـي
وتبعده عـن الخمسين — وفيهـا طيـب الحانـي

فها قد عـاد يهتف بـي — وليـل البعـد اشقانـي
أأقبـل منـة عودتـه — *اجل .. ما زال يهواني*

دمشق — سلافة العامري



توصلك ..

وككل عيد يفي بوعده ، ويدفع قبل الراتب . ما ان يطل الصباح الذي ذابت في انتظاره كل لهفة وصبر سنة طويلة .. حتى يكون قد وقف عند اول الشارع ، فيطرق الابواب الانيقة ليقدم تهنئة العيد لسكان الدور ... حينذاك يتذكرون عيدية الحارس . درهم وشكرات وكعك العيد ، وحتى احيانا لا يحرم بمن ينفحه بورقة خضراء او بلون حبة الرمان ..

جفناه يثقلان .. وكأنهما يحملان رموشا من حديد . كم يشتاق الان لتمديدة على البساط الكالح ، ويد ( حسنة ) الحنون تمسح جبينه بخرقة مبللة ، وتصر ان تشد رأسه بعصابة راسها ، بينما تجفف دموعها الرخيصة في مثل هذه المناسبات ولاتفه منها بكمها الواسع عن جلدة وجهها الملتصقة بالعظام . هكذا تفعل معه كلما سقط في الفراش واحست ان حرارته ترتفع ..

الفجر يبدو انه لن يظهر ابدا ، ابتلعه صوت كبير . والشارع لا يزال في رقدته الحالمة . وهو في مكانه تخذله قدماه من جولة قصيرة في الشارع . كم يبدو طويلا ، نهايته تختفي في تلاق عند آخر الدنيا . ومن بين عينيه الضيقتين راح يرنو عبر الشارع ، ومن خلال اشجار الحديقة المقابلة الى القصر الكبير ونوافذه الواسعة ، واشعة خافتة من ضياء باهت تظهر بهدوء عبر الاوراق . ترى كيف يستعدون للعيد ؟! اساهرون الان كحسنة وحمود وسعدية ؟! ايحسبونها ليلة مميزة من ليالي العمر ؟!!

الوقت وقف بعناد ابله ، لا يريد ان يتقدم ، وانفاسه تتثاقل في لهاث لزج ، وراسه يدفع رقبته الى اسفل . وتتقارب رموش عينيه فتختلط امامهما الرؤيا . اشجار الرصيف المقابل تبدو بعيدة وقد تشابكت في عناق مضطرب . النور الباهت يرتجف وهو ينحسر الى الوراء . يداهما عاد يحس بوجودهما ، والبندقية اللعينة ترتطم في سقوطها بقدمه . والظلام يزحف نحو الشارع .. يبتلع كل شيء .. كل شيء ..

وبدا الليل يجـري .. يجري منحسرا عن الشارع ، وكأنه يسرق شيئا عزيزا في غفلة من الحارس .. عندما فتح عينيه بجهد ، هجمت عليه مناظر جعلته ينتفض في مكانه . طلاء الحجـرة الابيض ، والاسرة البيضاء المحتضنة لاجساد تفور داخلها ، واسطوانـات حديدية باانابيب تمتد لبعض الاسرة ، ورجال ونساء بملابسهم البيضاء يتحركون داخل القاعـة الطويلة . الرائحة الغريبة تبعثه على الغثيان ، وصدره يضيق بالهواء الثقيل . حاول ان يرفع راسه .. لكنه اعاده باستسلام . وعادت بسرعة الى راسه احداث الليلة الماضية .. الشارع والسكون والظلام الزاحف ، والفجر الذي لم يأت .. والعيديات والكعك والشكرات ، وحسنة وحمود وسعدية ، والضيوف القادمون من الجنوب ..

رفع يده القاسية لتمسح حبات العرق الخبيثة عن جبينه .. وليدفن راسه في الوسادة البيضاء ، وكأنه يهرب من كابوس مخيف .

بغداد — عبد الله رستم

# مكتبة الاديب

## أغانــي الشبــاب

ديوان احمد ابو المجد ـ ٨٧ صفحة ـ المؤسسة المصرية العامة للتاليف والانباء والنشر ـ مطبعة المعرفة بالقاهرة

هذا الشاعر تعرفه ديار العروبة شاعرا ، كما تعرفه جواب آفاق ، طوف في ليبيا ، والحجاز ، والسودان ، وجاب اقاليم مصر بين شمالها وجنوبها ، فترك في حله وترحاله انغاما حالمة من شعره العذب ، ونخبة من الصداقات العربية الغالية .

ومع أن أبا المجد لم يجاوز شرخ الشباب الا قليلا ، فانه من دعاة الشعر الكلاسيكي ، بل من غلاة المؤمنين به ، المدافعين عنه ، وهو من البقية الصالحة من الشعراء ذوي الديباجة القوية المشرقة ، والعبارة السهلة المألوفة ، والاسلوب المنساب ، الذي لا تجد فيه الاذن غربة ، ولا يجد الذهن معاسرة في التعرف على مضامينه ، كما لا تحتاج وانت تقرأ شعرهم الى معاودة ، لما بينك وبينهم من الفة .

ذلك الى ما تتميز به شخصية ابي المجد من هدوء العاطفة ، واتزان الانفعال ، وانسياب العبارة ، وبساطة الفكرة ، وكانه حديث ينساب في العادي من شئون الحياة . ومن خلال هذا الديوان الوحيد الذي نشر له بعنوان اغاني الشباب تستبين الميزة الاكثر وضوحا في شخصية ابي المجد ، وهي طفولة القلب ، وعدم المبالاة ، والبعد عن الغرور . والآفاق التي يجول فيها شعر هذا الديوان محدودة بالابواب التقليدية ، ولهذا انحصرت اغراض هذه المجموعة في : الوطنية ، والحنين ، والطبيعة ، والغزل ، والشكوى ، والرثاء ، والاسلاميات ، والخواطر ، والتأملات ، والمديح ـ وان كان الشاعر قد وضع لبعضها اسماء اخرى .

لكن هذا التصنيف ليس حدودا دقيقة تفصل بابا منه عن الباب الاخر فصلا يجمع او يمنع ، فانك تستطيع بلا مشقة ان تضع كثيرا من القصائد في الابواب السابقة او اللاحقة دون ان تحتاج الى جواز مرور . فالشاعر يضع في باب الوطنيات قصائد : الوحدة الكبرى ، والقاهرة في عيد الثورة ، وعيد الوحدة ، وقاهر العدوان الثلاثي ، وما اشبه ذلك من الموضوعات والمناسبات . وفي باب الحنين يضع قصائد : حنين ، وغريب ، وذكرتك يا مصر ، وليالي الخرطوم ، وعلالة مشتاق ، وفي اصداء الطبيعة نقرأ : بين الاعاصير ، ونيل برقة ، والنيل ، وربيع ، والقصر المجهور ، وصداح ، وفي عالم الفضاء . ونحن عندما نقرأ قصائد هذا الباب الاخير ، لا نجد ما يميزها في الموضوع او في الاتجاه او في اللون العاطفي عن قصائد الباب السابق او اي باب اخر غير باب الطبيعة كما نفهمها ، وكذلك باب الغزل لا يفترق في معظم قصائده عن طابع قصائد الحنين.

هذه على اي حال مجمل اغراض الديوان كما رتبها الشاعر ترتيبا ابائيا ، وهي وان بدت في ثوب تقليدي الا انها على جانب من التطور المحمود ، فوطنياته لا تعني الحديث عن وطن معين ذي حدود جغرافية، ولكن وطن الشاعر هو العالم العربي كله ، بل هو العالم العربي الموحد ، الذي تحده وحدة الكفاح والتطلع والاقتحام والاستقلال والخروج من التخلف الى نطاق التقدم .

واولى قصائد هذا الباب هي قصيدة « الوحدة الكبرى » وفيها يقول :

في كل ارض للعروبة موكب
يحميه للعرب الكرام اباء
وبكل قطر صيحة عربية
الا يقيم على الحمى دخلاء

وفي قصيدة « عيد الوحدة » يقول الشاعر :

ما وحد الشرق في تاريخه حدث ... الا وكان له في دهره الغلب
وما تفرق شمل كان يجمعه ... الا تنازعه عاد ومغتصب
فالعرب قد ملكوا الدنيا بأندلس ... حتى اذا اختلفوا في امرهم ذهبوا

وفي باب الحنين نجده في ليبيا مشتاقا الى مصر ، فاذا جاء الى مصر حن الى الخرطوم ، وفي الخرطوم يود لو كان موطنه الدائم ارض الحجاز ، فليس وطنه ـ الآن ـ اقليما دون اقليم ، لكن اقطار العروبة كلها دياره ، لها في قلبه مكان غير محدود ، ففي قصيدته « ليالي الخرطوم » نسمع نبضات قلبه وهو يقول :

رعى الله اخوانا بها قد صحبتهم ... خلائقهم زاد المحب المسافر
وجدنا بهم اهلا على بعد دارنا ... واخوان صدق عهدهم غير غادر
عرفنا بهم شعبا الى المجد صاعدا ... يحطم اغلال الزمان المكابر
سقاه رحيق النيل عزمة صارم ... وقوة جبار ، ورقة شاعر
فان نسي الغادون عهدا بارضه ... فايامه البيضاء نجوى مشاعري

وفي هذه الابيات من صدق العاطفة وصدق التعبير ما يتفوق به الشاعر على نفسه ، لانها عامرة بحرارة الروح ، وقوة التدفق ، وسلاسة العبارة ، وعفويتها .

وفي باب اصداء الطبيعة تمتزج نفس الشاعر بعناصر الطبيعة ، وتنعكس عليها رؤى ما في كيانه من مشاعر واحاسيس ، فليست مرائي الطبيعة هنا سوى اطار يحدد الصورة ، بل لقد يختفي الاطار حين تتجسد الصورة بما فيها من انفعالات بارزة ، تتحدث بشكوى الآلام للامواج والمنظر الساحر في « رؤى الغريب الحزين » الذي يستوي عنده الزهر والقفر :

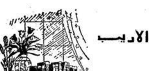
ثاو على الشط بين الزهر والماء ... اردد اللحن فياضا بادوائي
اشكو الى الموج آلامي فيبعثها ... انات مغترب عن الفه نائي
والريح تعزف الحانا مرتلة ... على الغصون تباعا او على الماء
وللطبيعة يبدو منظر عجب ... يسبي الحزين بسحر منه وضاء
ما لي وللروض مختالا ببهجته ... وللطبيعة تغري اي اغراء
سيان عند بعيد الدار زاهرة ... من الرياض ، واخرى غير زهراء

والغزل عند الشاعر يدور كذلك حول الحنين ، ويسير في خطوط متوازية ، لا تتعدى اللقاء فالاعجاب ، فالتعلق ، فالهيام ، فالفراق ، فالحنين ، والمناجاة ، والحرقة ، والدموع .

وجمال المرأة عنده رقة وشاعرية ، ووجه وضيء ومحيا اغر ، وطرف فاتر فتاك ، وهذا هو الشيء المألوف في الجمال الانثوي ، اما الجديد ، او غير المألوف فهو ـ كما نرى عند شاعرنا ـ ان تكون الانثى ذات وجدان صاف ، وشاعرية مرهفة ، كما يقول :

هذا جمالك في القصيد عرفته ... ورأيت فيه اجمل الاضواء
ما زلت اذكر يا فتاتي ساعة ... فيها نعمت بوجهك الوضاء
ورأيت كاتبة تخط بعينها ... كلما على القرطاس كالانداء

وربما كانت قصيدته « فراق » من النماذج المعبرة بوضوح عن نزعته في الغزل ، وربما كانت تلخيصا لهذا الفن من فنون شعره :




لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر
يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

**الاشتراك العـادي :**

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل٠ل.

●

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٠ دولارا بالبريد الجوي

**اشتراك الانصار**

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد
الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ — Tel : Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ — Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

**مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨**
بيروت ـ لبنان

●

**صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول**
**البير اديب**


شفني الوجد ، واضناني السهر ... وجفا النوم ، واشجتني الذكر
ذكريات من غزال شادن ... كلما رمت تدانيه نفر
هاجني نأي حبيب بعد ما ... فتن القلب محياه الاغر
اسر القلب ، وولى نازحا ... ليته ـ لما سباه ـ ما هجر
حملت ريح الصبا من نشره ... ارجا يزري بارواح الزهر
لو حكى الطير مناجاتي له ... ارقصت نجواه افنان الشجر

وفي الشكوى ، او « صيحات الالم » ـ كما سماها الشاعر ـ نجد الحياة في رايه خداعا للاماني ، لا خلاص منه الا باليأس ، وحتى اليأس في هذه الحياة محير ، لايدري الاحياء كيف السبيل اليه ، ولا خلاص من اليأس المحير والاماني الخادعة الا باعتزال الناس والحياة ، ففي قصيدته « حيرة » يقول :

الى اين اسري بعد ما ضاق مذهبي ... وسدت ضلالاتي سبيل رجائيا ؟
وماذا الذي ابغي ؟ وما ثم مغنم ... من الدهر الا ما يسر الاعاديا
وفي اذن من اشدو ؟ ولم يصغ مرة ... حبيب لاصدائي وفيض هتافيا
وماذا الذي اجني من الدهر والورى ... وما كنت الا الشوك والشر جانيا

وقد يكون سبب العزلة تجاهل الناس للشاعر ، وسوء فهمهم او سوء رأيهم ، وقد يكون احساسه بالضياع ، وتنكر الصحاب له :

كأني في هذا الزمان قصيدة ... تدل على اهل الزمان معانيا
اساؤا لها فهما ، وما العيب عيبها ... ولكنها الالباب لم تدر ما هيا
وما عيب تبر لم يجد كف صائغ ... وما عيب در بات في البحر نائيا
وما عيب شمس يملأ الافق ضوؤها ... اذا صادفت من ليس بالنور داريا
دعاني ، فما جدوى صديق مصانع ... اذا جد جد كان كالذئب عاديا
ولا خير في ود اذا لاح مأرب ... لصاحبه امسى على الصحب جافيا
وما خير خلان اذا ما عددتهم ... على كثرة لم الق فيهم مثاليا

وفي باب الرثاء ثلاث قصائد ، تدور اثنتان منها حول موضوع واحد ، هو ولد الشاعر الذي فقده ودفنه في دار الغربة بصحراء « الديوم » بالسودان ، ولكن هذه الفلذة التي تركها هناك قربت هذه الصحراء النائية الى قلبه ، حتى لم يعد يعترف بهذه الغربة :

ولدي . فقدتك في بلاد لست فيها بالغريب
يا ليتني ـ لما فقدتك ـ عشت في المثوى القريب
لأبث قبرك ما يعاني القلب من الم الوجيب
كم نسمة هبت من الخرطوم طيبة الهبوب
اذكت بقلبي لوعة فبكيت بالدمع الصبيب
وبعثت في الانسام من جمر الهوى حر اللهيب
ما كنت الا فرحة في قلب والدك الكئيب
ما كنت الا انسه في ذلك الافق الرحيب
ما كنت الا زهرة في عيشه القفر الجديب
انا لست انسى يوم رحت ـ وقد شكوت ـ الى الطبيب
فسقاك من كأس الدواء ـ بجهله ـ كأس الخطوب
فمضيت ، حيث دفنت في الصحراء ، في ظل الكثيب
لم يغن عنك بكاء باكية ، ولا شق الجيوب
وتساؤل الاخوات عنك ، وقد مضيت الى المغيب
يا ويح قبر لا يزار هناك في البلد الحبيب

اما في الاسلاميات فتبدو عاطفة الشاعر وقد اندمجت في هذا الخضم الزاخر بالايحاءات والالهامات الحافل بالاشعاعات ، فيغني من قلب شغاف ، تسعفه ذكريات المجد ، ومجال الرسالات السماوية بقصائد رصينة ، مثل : « يوم بدر » ، و « المجد الخالد » و « في افياء البيت الحرام » التي منها :

اتى لك مشتاقا يجوب الفيافيا ... ويستعذب الاهوال بالليل ساريا
اتى لك لا يدري ـ وقد زاد شوقه ـ ... الاقى صعابا في السرى ام امانيا
تحمل آلام الرحيل منعما ... وودع احبابا هناك غواليا
يؤم مكانا اشرق الكون بعدما ... اقيم به البيت الذي ظل عاليا

واضحى به القفر اليباب مواردا وامسى بـه الخيـر العميم مواتيا
فيأيهـا الساري هنـا ماء زمـزم يروي الذي قد بات بالاثم صاديا
ويأيهـا الداعي هنا خيـر بقعـة ارجى بها ان يستجـاب دعائيـا

الى ان يقـول :

رعى الله عهدا في الحجاز قضيـه فذاك هو العهد الذي ظل زاهيـا
فلم ار في شرق البلاد وغربهـا مكانا سواه قـد اثار فـؤاديـا
هنـا منبت الفصحى ، هنا معقل النهى ، هنا منبع النور الذي ظل هاديا
عرفـت به صحبـا كراما ، كأنهم بصحبتهم مـا زلـت في مصر ثاويا
وماذا علي اليـوم لو صرت ههنـا مقيما ، وقد خلفت في مصر ذ'ريا
وان بني مصـر واخوتهـم هنـا يزيدون ـ ما مـر الزمان ـ تآخيا

على ان شاعرية الشاعر تبدو اكثر انطلاقا واكثر صفاء في دعاباته وطرائفه المرسلة على السجية ، ومن هذا اللون مقطوعته الشيقة التي يداعب بها صديقه الشاعر الصحفي « خليل جرجس خليل » الذي صادفه يوما في حي الزمالك الحي الارستقراطي بالقاهرة ، حـي السفارات ، ومرتاد السائحين ، وسكنى المترفين ، والمعهـد بهما ان يتلاقيا في الاحياء الشعبية ، حيث يسكنان ، او حيث يجتمعان في الندوات الادبية ، استمع اليه يداعب هذا الصديق :

ماذا اتـى بك فـي الزمالـك ؟ والشعـر موطنـه هنالـك
فـي مثل حـي انـت تسكنـه مـع الاصباح حـالـك
في حـي ( شبرا ) حيث ضاقـت فـي شوارعهـا المسالـك
لـم الـق قبلـك شاعـرا قـد جاءها في مثـل حالـك
متغنيـا ، مترنمـا وكـأنـه للحـي مـالـك
الشـاعـرون ديـارهـم فـي اي حـي غيـر ذلـك
اخليـل انـا ههنـا غربـاء فـي حـي الزمالـك
فـاذا اردت هنـا المقـام فـذاك وهـم فـي خيالـك

وبعد .. فهنا كلمة اريد ان اختتم بها الحديث عن الشاعر احمد ابو المجد وديوانه « اغاني الشباب » فهذا الشاعر طاقة جبارة، وهذه الطاقة جديرة بالانطلاق ، جديرة بالخروج من الصدفة الذاتية للشاعر ، والتحليق في الكون الارحب ، فلا تقتصر على الغنائية الذاتية ، بل لا بد لها ان تحلق مع المحلقين ما دامت تملك الجناحين والفضاء الطليق في دنيا العرب الحافلة بالاحداث والمواقف المليئة باحتمالات المخاض والانسلاخ كل يوم عن جديد . بل لا ارهق الشاعر من امره عسرا اذا الححت عليه ان يخرج بشاعريته الى دنيا العالم باوسع معانيه وهو يعيش في عصر المعجزات . ومع ذلك فالشاعر مطالب في بـداية الامر بان يحقـق خطوتين أوليتين كبداية للتحرر، وهما:

اولا : ان يطور اسلوبه ، ليخرج من مجرد الصحة الى مستوى الجودة ، الى مستوى الابداع الفني .

ثانيا : عدم الانحياز الى جبهة ، او معاداة الجبهات الاخرى ، لان ذلك يفقده النظرة الفنية الشاملة ، ولذلك لا بد له من الاطلاع الحر المتجرد على ما تنتجه جميع الاتجاهات ، ومحاولة الانتفاع بـه في خدمة قضية الشعر والتحليق به ، فان الواقفين مكانهم في ثبات لا بد ان يتخلفوا من حيث لا يشعرون ،ما داموا لا يكترثون بزحف المواكب من حولهم .

**القاهرة** **رضوان ابراهيم**

•

## الموقع الستراتيجي العربي

تاليف الدبلوماسي هيثم الكيلاني ـ ٣٠٠ صفحة ـ الناشر وزارة الثقافة والارشاد القومي ، سورية

ان الذين عرفوا المؤلف النابغ الاستاذ هيثم الكيلاني في شوقه الى اظهار المآثر الحربية العربية والعكوف على التاليف الحماسي ، وهو الرجل الذي تمرس بالشؤون العسكرية متقلبا في مناصبها الكريمة، ان الذين عرفوا مواهبه الفذة ، يضيفون اليها خبرته القويمة في كتابه الجديد الذي سماه : « الموقع الستراتيجي العربي » .

فمنذ هب العرب في نهضتهم المعاصرة ، لفتوا انظار الامـم الكبرى المستولية على السياسة الدولية وتصرف الشؤون الاستعمارية ، فكان للعرب في بلادهم ونهضتهم الحديثة اثر بعيد في السياسة الدولية ، وقد اصبحت بلادهم في موقع حربي واستراتيجي في نظر التخطيط الحربي المعاصر .

من عناصر هذا الكتاب كلام المؤلف على الموقع الجغرافي للوطن العربي ، وقد لزم ان يستتبع ذلك كلامه على الجغرافية الطبيعية لهذا الوطن العزيز في مساحته وعدد سكانه وطبيعة اديان اهليه ولغاتهم الفصحى والامية ولهجاتهم الخاصة ، ثم دخل المؤلف في نطاق الجغرافية الاقتصادية والجغرافية البشرية والتخطيطية ، حتى لم يغادر في هذا الموضوع العلمي ما يتطلبه القارىء المثقف في هذا الموضوع العلمي الدقيق . واذا كان البترول في عصرنا هو عصب الامم والمادة الاساسية في تطورها وماليتها وجلب الانظار اليها وادرار الخير عليها . وكان نصيب الامة العربية من هذا الفيض الالهي النابع من اجواف الارض مدرارا في الديار العربية ، وقد صب عليها مع المال البلاء وبعث التزاحم على ودها من اجله ، فان المؤلف الفاضل تناول البحث في البترول العربي ، في السياسة العربية المتبعة من اجله وعلاقة العرب الذين تنبع آباره الثرارة من ارضيهم مع الشركات الاجنبية وسوى ذلك .

وقد تكلم بكتابه هذا النفيس على وضع الوطن العربي ضمن الستراتيجية الاجنبية فمارس البحث الذي خلاصته ان لكل امة حسب موقعها الجغرافي وتقدمها في المجالات الحضارية المعاصرة منزلة خاصة في الوجود ، فان الستراتيجية الاجنبية اخذت تنظر الى الوطن العربي بان له موضعا استراتيجيا مرموقا . وقد ادركت الامم الاجنبية في المدة الاخيرة ان الاستعمار ماض بطريق التصفية في الوجود ، وانه لم يعد بالامكان التسلط على الشعوب العربية وجذبها الى الانحياز الاجنبي . وقد تبسط المؤلف في هذا الموضوع حين تكلم على مواقف الامم الاجنبية وبخاصة البريطانية والاميركية والاتحاد السوفييتي من الوطن العربي .

وكان من الطبيعي ان يعنى المؤلف بالموقع الحربي الاسرائيلي الذي يحتل جهة القلب من الحوض المتوسط حيث تحيط ببره البلاد العربية من تخوم لبنان الى حدود مصر . وكيف قامت المبادىء الصهيونية لارساخ الشرذمة المغتصبة اليهودية واحتلالها فلسطين .

ان كلمة « ستراتيجية » دخلت بمدلولها البحوث العسكرية والاقتصادية المعاصرة فكان على المؤلف ان يبصر العرب بموقع بلادهم الستراتيجي في تطور التعاون العسكري العربي والمعاهدات الدفاعية المشتركة ، ودور الجامعة العربية ، والقيادة القومية ، وتوحيد القوى العربية وقد قام بذلك على اوفق سبيل .

وكذلك فان كلمة « التكتيك » الاجنبية دخلت في المداولات العلمية العربية ، فاخذ المؤلف في ظلال هذا التعبير يبين الحالة الحربية الراهنة ، للامم العربية في تطبيق المعاني المتوخاة لهذه الكلمة ، لتكون الامم العربية على اهبة عتيدة للدفاع عن الحوزة وحماية الذمار تلقاء العدو المقيم على ربض من ارباضها او الدامر عليها .

ويدخل المؤلف في موضوع يعد من اخطر الموضوعات التي بدلت وجه عصرنا وهو (القدرة الذرية ) اذ انه السلاح الوحيد الذي طفقت الامم الكبرى تعده لسلاحها الجديد ، ومتى كان سلاح الامم العربية مناصيا لذلك فقد كفلت خلاصها في مداهمات الزمن .

وجعل المؤلف في كتابه مجالا للكلام على اختصاصه في الدبلوماسية العربية فابان دور السلك السياسي العربي في مواجهة المشاكل الدولية ومقاومة الجرف الاستعماري والزحف الاجنبي وابان المؤلف النابغ الموهوب في سلكه ما يجب ان يتحلى به الدبلوماسيون العرب من الحذق والمقدرة والثقافة لينشطوا فيجميع اقطار الارض ببث الوعي العربي واعلام الامم جمعاء بمنزلة الامة العربية وقدرة شعوبها التي نهضت بحمد الله ، فكادت تجاري في رقيها الامم الراقية الكبرى .

**دمشق** **زكي المحاسني**

•

## قصص واساطير من الادب الكردي

**تاليف صالح رشدي ـ ١٠٤ صفحة ـ منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت**

من الفنون الطريفة النافعة : الحكايات الشعبية ، هذه التي تنتقل شفاها من جيل الى جيل حاملة المتعة والانس .

واذا اوشكت « المدرسة » ان تجهز عليها ، تهيأ لها في الحضارة الغربية القائمة سبب جديد للبقاء ، وذلك بنقلها عن لسان العجائز الى لغة فصيحة سليمة واثباتها في الكتب مما ييسرها للناشئة الجديدة ، فتقرؤها فتصغى وتطرب ـ انها تراث انساني جليل .

الحكايات في كل مكان ، مثل كثير من الكنوز ، ولكن المهم ان تقدرها قدرها وان تحتفظ ـ اذ تنقلها الى الكتاب ـ بسذاجتها وطراوتها واسرار فنها التي ضمنت لها البقاء ، ودلف جوهرها الى روائع القصص الحديث . هذا شرط في النقل ، وما كل من نقل نقل .

ونحن اليوم ازاء كتاب « قصص واساطير من الادب الكردي » ، وقد عزم مؤلفه الاستاذ صالح رشدي ان يجمع فيه عددا منالحكايات الكردية ، يجمعها بلغة القوم اولا ، ثم يترجمها الى اللغة العربية ، فعرض نفسه بذلك الى جهد مضاعف ، ولكنه نجح في المهمة .

انك تقرأ وتانس ، اقول تقرأ ، لان هذه الحكايات تراثانساني عام يقرؤها الطفل فيستمتع لانها في متناول ادراكه ومتناول خياله كانه يجد نفسه فيها ، ويجد احلامه ، ويجد تاريخا طويلا منالطفولة لم تغيره الدهور ولم تعبث به الايام ، كانه يخرج الى العالم لاول مرة ، ويقرؤها الكبير فيستمتع ويستفيد لانها ثمرة تجارب طويلة ولان فيها اوله الذي لم ينته ـ ومن قال ان الحكايات للاطفالفقط !

تقرأ في المجموعة : « بائع العقل » او « صراع بين العقل والمال » او « البطل » فتجد ان هذه الحكايات التي صاغها الاكراد تشبه الحكايات التي نسجتها الشعوب الاخرى ، لان منحى « العقل » الانساني في فطرته واحد ، ولا بد من ان يكون المؤلف المجهول اخا لمؤلف مجهول عربي ومؤلف مجهول غربي ... وان يكون المفهوم الاول للفن واحد ، ولا بد من ان يكون التطور ـ فيما بعد ـ متقاربا ، وان يلتقي في طريق واحدة ..

لقد كان المؤلف المجهول مضطهدا ، وقد تامل في اضطهاده طويلا ، فوجد فيما يؤلف من حكايات متنفسا ، كان عاقلا ولكن السعادة من حوله لدى الجاهلين ، وكان فقيرا والمال بيد من لا عقل له ، وكان يعمل ويكدح ولكن المجد يذهب الى من سواه والاكليل يعقد على جبين القاعدين ، فما العمل ! اليد قصيرة . ويخلو الى نفسه ويثور وتستحيل حسراته نوعا من الكلام يخفف بعض بلواه .

والمسالة اكثر من تخفيف ، انها وسيلة يبث بها افكاره من دون ان يناله عقاب ، واسلوب ياخذ منه كل قدر ما يستطيع ان ياخذ ، اما الباقي ـ وقد يكون الاكثر ـ فيدخر للاخرين ، سيأتون ـ مهما يطل المدى ـ فياخذونه ويفهمونه وينتصرون للقائل .

ان الحكاية كانت ـ فيما كانت ـ جدا مرا ، ومجالا ينتقم به القاص المضطهد لنفسه ، فيمكن لها في الارض وينصر العقل على المال والحق على الباطل ، ويدع الناس يتغنون بذلك ـ علموا او لم يعلموا ، قصد او لم يقصد .

اجل هكذا يبدو امر في دنيا الحكايات ، وهذا ما اثارته ـ في الاقل ـ قراءة لحكايات ثلاث من مجموعة « قصص واساطير من الادب الكردي » .

نرجو المزيد ونامله .

**الرياض** **علي جواد الطاهر**

•

## الادب العربي

**للمستشرق الاسباني خوان فيرنيت ـ باللغة الاسبانية ـ ٢٧٠ صفحة ـ منشورات دار لابور في برشلونة**

منذ مدة قصيرة حمل الي البريد كتابا لطيف الحجم ، انيقالاخراج ، يحمل غلافه الخارجي الاول ـ الى جانب اسم الكتاب ، واسم المؤلف ، واسم السلسلة ـ لوحة من الخط العربي الكوفي فيها آيات من القرآن الكريم . اما عنوان الكتاب فهو ( الادب العربي ـ Literatura Arabe) واسمالمؤلف (خوانفيرنيت ـ Juan Vernet )

واسم السلسلة التي صدر فيها الكتاب ( مجموعة لابور الجديدة ) ، وهي سلسلة كتب تصدر عن دار ( لابور للنشر ) في برشلونة ، في اسبانيا . ويقع الكتاب في نحو ٢٧٠ صفحة من القطع الوسط . وهو مطبوع طباعة انيقة باللغة الاسبانية .

اما المؤلف فهو استاذ كرسي اللغة العربية في جامعة برشلونة. وفي التعريف باهمية الكتاب بالنسبة الى القارىء الاسباني يقول الناشر في زاوية الغلاف الاول : « بهذا الكتاب يقدم لنا اخوان فيرنيت تعريفا ممتازا بهذا الادب الساحر المدهش الذي يثير اهتمامنا لسببين : الاول هو انفتاحه الحديث على الآداب العالمية ، والثاني هو ما له من صلة بادبنا نحن الاسبان » . وهذه العبارة الاخيرة فيها اشارة نبيلة كريمة الى صلة الشعب الاسباني بالحضارةالعربية والتاريخ العربي الاسلامي . ونلاحظ كيف يذكر الاسبان هذه الصلة التاريخية باعتزاز وتقدير ، ولا يخجل من كونهم خضعوا قرونا طوالا ( لاستعمار اجنبي ) بخضوعهم للحكم العربي الاسلامي .

ونحن نشعر كذلك بالتقدير والاكبار للشعب الاسباني ، وللصلة التي ربطت تاريخنا بتاريخه ، ووصلت حضارتنا بحضارته ، فكان من حصيلة ذلك المزج الحضاري هذه النهضة التي يتمتع بها اليوم العالم الغربي باسره .

واذا كان الناشر الاسباني يرى لكتاب الاستاذ خوان فيرنيت هذا اهمية كبيرة بالنسبة الى الشعب الاسباني ، فما احرانا نحن ايضا بأن نرى له اهمية كبيرة بالنسبة الى العرب ، اصحاب هذا الادب الذي يقدم الاستاذ فيرنيت تاريخه ونماذجه الى الشعبالاسباني، متدرجا معه ومع اربابه من العصر الجاهلي الى الى العصر الحاضر .

في المقدمة التي كتبها المؤلف دراسة لطيفة جدا للشعر العربي. واهميتها انها تشرح للقارىء الاسباني طرازا من الشعر والعروض يختلف كل الاختلاف عن الشعر الغربي اسلوبا وتعبيرا . ومن اطرف ما في هذه المقدمة التفاصيل العروضية التي اوردها المؤلف ، ثم

شروحه لالوان من الشعر العربي ظهرت في الاندلس ، كالموشح ، والزجل ، والقوما ، والكان وكان . ولست اشك في ان الطريقة التي شرح بها هذه الانواع من الشعر ، والنماذج التي اوردها لشعراء مختلفين ( مكتوبة بحروف لاتينية ، والى جانبها معناها بالاسبانية ) تثير لدى القارىء الاسباني اهتماما كبيرا بهذا الشعر الذي لا يعرفه ، ولا يعرف ما يماثله .

وبعد المقدمة يمضي الاستاذ فيرنيت في الحديث على : (الشعر الجاهلي ـ النثر العربي القديم والقرآن الكريم ـ العصر الاموي ـ الشعر في العصر العباسي الاول ـ النثر في العصر العباسي الاول ـ الشعر في العصر العباسي الثاني ـ النثر في العصر العباسي الثاني ـ عصر الانحطاط ـ تباشير النهضة الحديثة في مصر ـ النهضة في الاقطار العربية الاخرى ـ الصلات بين الادبين العربي والاسباني )

ولعل هذا الفصل الأخير المتعلق بالصلات بين الادب العربي والادب الاسباني من اهم الفصول بالنسبة الى القارىء العربي ، فهو يود ان يعرف ما يقوله المؤلف في هذه الصلات ، واوجهالتشابه بين الادبين ، او الآثار التي تركها كل منهما في الاخر .

اما ان هناك تاثرا متبادلا بين العرب والاسبان ، وبالتالي بين الفكر العربي والفكر الاسباني ، فهذا مما لا شك فيه : فارتباط الشعبين بمصير واحد طوال ثمانية قرون لا يمكن ان يمضي دون آثار متبادلة من الجانبين . ونحن نعلم ان العرب تركوا اكبر الاثر في الفكر الاسباني بشكل عام ، ولكننا نعلم كذلك ان صلة العرببالاسبان قد ادخلت في الادب العربي ـ والشعر منه بنوع خاص ـ وكذلك في الحياة العربية عامة ، عناصر جديدة من الرقة ، ولطف الخيال ، ودلائل النعمة والترف واللذة . وقد ظهرت هذه الآثار كلها في الموشحات الاندلسية والزجل ، مما لم يكن له مثيل من قبل في الشعر العربي .

كذلك لسنا ننسى كم ترك العرب من لغتهم في لغة الاسبان الى يومنا هذا . كما لا ننسى ان اوروبا كلها كانت في العصور الوسطى في حاجة الى تعلم اللغة العربية لاجل الاطلاع على كنوزها الثمينة ، في عهد الحكم العربي في الاندلس ، ولكي تبني عليها حضارتها الجديدة . وهذه الناحية بالذات اهتم بها المؤلف كثيرا في كتابه ، واورد عنها العديد من الامثلة . كذلك اشار الى اثر الشعر الاندلسي في شعر التروبادور ، وقال ان هذا الاثر من الامور التي لا جدال فيها ، سواء في الشكل ام في الموضوع . وفي يقيني ان هذا الفصل ، بشكل خاص ، يعتبر شهادة ثمينة على اهمية ادبنا العربي في عصوره المختلفة .

وجدير بالذكر ان الفصل الذي وقفه المؤلف على النهضةالادبية المعاصرة قد جاء في اكثر من ٤٥ صفحة . والقسم الاكبر منها للحديث عن النهضة في مصر . وقد تطرق الى الحديث عن النهضة في الاقطار العربية الاخرى كذلك ، وبكثير من التفهم والانصاف . ومع انه قد اهتم اهتماما كبيرا بجيل الشيوخ من الادباء في مصر والاقطار الاخرى ، الا انه لم يغفل البارزين من شعراء الجيلالجديد وناثريه ، وعلى الاخص في لبنان والعراق . ولم ينس ادباء المهجر ، فخصص لهم بضع صفحات تحدث فيها عن كبارهم ، ولا سيما اعضاء الرابطة القلمية .

ان هذا العرض الخاطف لا يكفي لاعطاء صورة وافية عن الكتاب، ولكن القصد منه بيان الجهد الكبير الذي بذله المؤلف لخدمة الادب العربي خدمة جادة . وهو بهذا جدير منا بالشكر والتقدير لعمله الجليل وقصده النبيل .

عمان — عيسى الناعوري

# ظهر حديثاً

- افريقيا : دراسة لمقومات القارة ـ تاليف الدكتور محمد رياض والدكتورة كوثر عبد الرسول ـ ٥٩٤ صفحة ـ حجم كبير ـ مع سجل مصور ـ منشورات دار النهضة العربية ببيروت ـ مطبعة سامي المتني الجديدة ببيروت
- بلادي تبيعون ـ شعر ـ خليل فاخوري ـ ٧٨ صفحة ـ طبع في بيروت ـ ( لم يذكر اسم المطبعة )
- صور من الجهاد ـ الجزء الثاني ـ تاليف زيد بن عبد العزيز بن فياض ـ ٨٨ صفحة ـ حجم كبير ـ مطابع القصيم بالرياض
- مذاهب ومفاهيم في الفلسفة والاجتماع ـ ترجمة وتاليف الدكتور عبد الرزاق مسلم الماجد ـ ١٤٠ صفحة ـ منشورات دار المكتبة العصرية في صيدا وبيروت ـ ( لم يذكر اسم المطبعة )
- اغان على الدرب ـ مجموعة شعرية ـ محمد مصطفى عبد الرزاق ـ مصمم الغلاف سعيد احمد الحاج يونس ـ ١٢٨ صفحة ـ منشورات دار اللواء ـ مطبعة الرافدين في القامشلي سورية
- الادب الجزائري المعاصر ـ تاليف الدكتوره سعاد محمد خضر ـ ٢٤٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت ـ ( لم يذكر اسم المطبعة )
- في القصص العراقي المعاصر ، نقد ومختارات، تاليف الدكتور علي جواد الطاهر ـ ١٦٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت ـ ( لم يذكر اسم المطبعة )
- احزان صحراوية ـ مجموعة شعرية ـ تيسير سبول ـ ١١٨ صفحة ـ منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت ـ ( لم يذكر اسم المطبعة )
- رجل المغارة ـ مسرحية من فصلين ـ تاليف جرجي نقولا ـ ٩٠ صفحة ـ طبع منها ١٠٠ نسخة فقط ـ طبعت في بيروت ـ ( لم يذكر اسم المطبعة )
- الرحلة الثامنة ، دراسات نقدية ـ تاليف جبرا ابراهيم جبرا ـ ٢٤٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت ـ ( لم يذكر اسم المطبعة ).
- العصبية في حياة العرب ـ تاليف المحامي عبد القادر عياش ـ ٩٠ صفحة ـ حجم كبير ـ الكتاب ١٤ في سلسلة تحقيقات فولكلورية من وادي الفرات ـ طبع في دير الزور سورية ـ ( لم يذكر اسم المطبعة )
- قصص واساطير من الادب الكردي ـ تاليف صالح رشدي ـ ١٠٤ صفحة ـ منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت ـ ( لم يذكر اسم المطبعة ).
- اوراق مسافر ـ تاليف امين نخلة ـ ١٦٠ صفحة ـ منشورات دار مكتبة الحياة في بيروت ـ مطبعة المطبعة في جونية لبنان




## رسالة دكتوراه عن رشيد رضا للدكتور احمد الشرباصي

في مساء يوم الاثنين ٧ من المحرم سنة ١٣٨٧ هـ ـ ١٧ من ابريل سنة ١٩٦٧م امتلأت قاعة الشيخ محمد عبده الكبرى في جامعةالازهر بالقاهرة بمجموعة ضخمة من كبار القادة والعلماء والشعراء والشباب، ليشهدوا مناقشة الرسالة التي قدمها الدكتور احمد الشرباصيلنيل درجة الدكتوراه في الادب العربي من كلية اللغة العربية بجامعة الازهر ، وكان موضوعها : « السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار : عصره وحياته وجهوده الادبية واللغوية » . وكانت لجنة المناقشة مكونة من الدكتور محمد نايل رئيس قسم الادب بكلية اللغة ، والدكتور عبد الغني اسماعيل استاذ الادب بها ، والاستاذ محمد خلف الله احمد عضو مجمع البحوثالاسلامية والمجتمع اللغويوالمجلس الاعلى للآداب وعميد معهد البحوث والدراسات العربية . وبعد مناقشات استغرقت نحو ثلاث ساعات تقرر منح صاحب الرسالةدرجة الدكتوراه بالامتياز مع مرتبة الشرف الاولى . وفيما يلي الكلمة التي ارتجلها الدكتور احمد الشرباصي لعرض رسالـه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسوله ومن والاه .

في سنة ١٩٣٩ اخذت اطلب العلم في كلية اللغة العربية ـ حرسها الله معقلا للغة القرآن وادب العرب ـ وهاانذا بعد ما يقرب من ثلاثين عاما ، اقف في رحابها حيث كنت : طالب علم يتطامن امام جلاله ، ويرتدي ثوب الاعتراف بقصور المعرفة ، مع الرغبة الطامحة الى مزيد الاغتراف منها ، واذا كان الاثر الاسلامي يقول : «منهومان لا يشبعان ، طالب علم وطالب مال » فاني اسأل الله عز شانه ان يجعلني خير هذين المنهومين على الدوام .

أقف لاقدم رسالتي للدكتوراه في الادب العربي عن « السيد محمد رشيد رضا » صاحب مجلة المنار ، وصاحب تفسير المنار ، وصاحب المؤلفات والمقالات التي شرقت وغربت ، وأكبر تلاميذ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، وخليفته من بعده ، والذي قال عنه أمير البيان شكيب أرسلان انه لا يمكن ان يكتب تاريخ الاسلام دون أن يكون لرشيد رضا فيه « مقام كريم وبرهان ساطع » ، والذي قال فيه الشيخ المراغي انه أحد المجددين .

ومهما اختلف المادحون لرشيد رضا والقادحون فيه ، فهو رجل قد عاش عصره وأثر فيه ، واتصل بأغلب اعلامه واحداثه ، وكتب في اغلب الوان الكتابة ، وترك من خلفه تراثا فكريا ضخما سيظل موضع النظر والتقدير من كل منصف الى مدى بعيد ، وهو رجل متعدد الجوانب والمواهب ، فهو عربي يبكر في الاشتغال بالقضايا العربية ، ويسهم في مناصرتها بالفكرة والكلمة والمشاركة العملية ، وهو مفكر اسلامي ، فيه روح الداعية الى الله تعالى ، الغيور على دينه وتعاليمه ، الساعي لحسن الجمع بينعروبته واسلامه ، وهو صحفي يسبق الى الاشتغال بالصحافة ، منشئا لها ومصدرا وناشرا ، وكاتبا في كثير من الصحف والمجلات هنا وهناك ، وهو مفسر للقرآن الكريم بأسلوب عصري ، وباستصحاب لطريقةالاستاذ الامام في تفهم النص الالهي المعجز ، وهو محدث ، يروي الكثير من احاديث رسول الله عليه الصلاة والسلام ، ويسندها ويخرجها في عناية ودقة ، وهو ناثر يكتب عشرات الآلاف من الصفحات في شتى الامور والموضوعات ، وهو شاعر يقول الشعر مقطعا ومقصدا وراجزا ، وهو لغوي يعنى باللغة العربية القرآنية المجيدة ، بحثا فيها ، وتعريفا بكنوزها ، ودفاعا عنها ، ودعوة الى التزامها، وهو خطيب يردد صوته على منابر الدين والسياسة والقومية والاصلاح ، وهواجتماعي يراسل اهله واقاربه واصدقاءه ، ومعارفه وغيرهم من العلماء والادباء والزعماء .

واذا كانت حياة رشيد رضا قد امتدت حلال الثلث الاخير من القرن التاسع عشر ، والثلث الاول من القرن العشرين ، ولحق بربه منذ اكثر من ثلاثين عاما، فان في شخصيته وتراثه ملامح تشبه الى حد كبير طائفة من الملامح الفكرية والقومية والاجتماعية التي تتألق في مجتمعنا اليوم، فهو قد دعا ـ في اثناء الطغيان التركي على الكيان العربي ـ الى استقلال العرب وعزة العرب ووحدة العرب ، وبدت منه بواكير ذلك قبل افتتاح القرن العشرين ، حتى اوذي مع طائفة من رفاقه بسبب اتهامهم بالدعوة الى خلافة عربية في الوطن العربي الكبير . وهو قد الح في تبيان ان اللغة العربية هي ارسخ مقومات القومية العربية ، وهي فوق ذلك لغة القرآن ولغة الاسلام ، ولذلك القى عليها رداء القداسة فوصفها مرارا بانها « اللغة المقدسة » ،فاذا كان تعلمها واجبا قوميا على كل عربي ، فان تعلمها واجب شرعي على كل مسلم ، وهو القائل: « لا يحيا الدين الا باحياء لغته» ، والقائل :

لا يرتقي الشعب بلا علم، ولا حياة للعلوم الا باللغى

وهو قد بذل جهودا كبيرة ومبكرة لتوثيق علاقات الاخوةوالمحبة والوحدة بين مصر وسورية ، من اواخر القرن الماضي الى وفاته في اغسطس سنة ١٩٣٥ ، وكان يقول ان له وطنين : الاول هو سورية وطن الميلاد ، والاخر هو مصر وطن الاقامة والجهاد .

وهو قد قاوم بلسانه وبنانه الاحتلال والاستعمار ، وجاهد بقوله وعمله ضد الطاغين والمتجبرين والمترفين ، وتحدث اكثر من مرة عن مبادىء العدالة الاجتماعية ، والديمقراطية الاسلامية ، والغيرة الوطنية ، والكرامة القومية ، وتلك مبادىء كان الحديث عنها والعمل من اجلها احد الملامح البارزة لمدرسة جمال الدين الافغاني وعبد الرحمن الكواكبي ومحمد عبدهورشيدرضا وشكيبارسلانوغيرهم.

وهو قد كان من السابقين الى المناداة بانقاذ المرأة من جهالتها ، وباعطائها حقوقها العادلة ومكانتها المشروعة ، مع تحصينها بحصانة الدين ، ومناعة الاخلاق ، ولذلك ايد مع شيخه الاستاذ الامام دعوة قاسم امين الى تحرير المرأة ، وان اساء استغلالها بعد ذلك كثيرون ، ونوه بطلائع النهضة الادبية من النساء ، كملك حفني ناصف « باحثة البادية » ، ومي زيادة ، ووردة اليازجي ، وغيرهن .

وهو قد وجه الانظار والافكار منذ وقت مبكر الى العناية بالادب الشعبي والفن الشعبي « الفولكلور » ، لا لتكون تلك العناية مفتاحا لتثبيت اقدام العامية او الاجحاف بحق الفصحى ، بل لتكونوسيلة الى الارتقاء بالادب الشعبي ، حتى يدنو من حمى اللغة الفصيحة ، فتاخذ الفصحى مسالكها الى اسماع الشعب وافهامه ، وبذلك تعز وتسود .

ومن خلال هذا التصوير السريع لشخصية رشيد رضا وجهوده استطيع ان اذكر الدوافع التي دفعتني الى اختياره موضوعا لرسالتي للدكتوراه التي اعرضها الان ، ويمكنني اجمال هذه الدوافع فيما يلي:

اولا : رشيد رضا في ذاته يستحق ان يكون موضوع دراسة واسعة ، فهو علم من اعلام عصره ، وله تراثه الفكري الادبي الضخم، ولم يسبق لاحد ان قدم عنه دراسة لادبياته ولغوياته بالطريقة التي سرت عليها ، بل لم يسبق لاحد ان تحدث بالتفصيل عن عصره وحياته وجهوده بالصورة التي حاولت تقديمها .

ثانيا : رشيد رضا صديق لامير البيان شكيب ارسلان ، وزميل له في كثير من الاتجاهات ، والحياة الفكرية اكل منهما تلتقي كثيرا بشقيقتها وتتكامل معها ، ومنذ سنوات قدمت لدرجة «الماجستير» دراسة عن امير البيان كانت موضوع تقدير كريم من الاستاذينالكبيرين

اسحق موسى الحسيني والاستاذ محمد خلف‌الله احمد، فكان من الطبيعي ان اتجه الى رشيد بعد ان اخذ شكيب من جهدي ووقتي ما اخذ ، ولعل هذا هو مبعث ربطي احيانا بين جهدي مع شكيب وجهدي مع رشيد .

ثالثا : ناصر رشيد رضا الادب الاسلامي ، وكان له في تراثه الضخم جانب ملحوظ ، وآمن بالترابط الوثيق بين العروبة‌والاسلام ، فلم يكن عجيبا ان اعنى بدراسته ، وانا اومن بشعار اردده وامجده ، وهو : العروبة وعاء الاسلام ، والاسلام روح العروبة ، واومن فوق هذا بان الادب الاسلامي ما زال بحاجة الى العناية والرعاية .

رابعا : رشيد رضا من مفكري العصر الحديث وكتابه ، ولقد طال بنا عهد مضى ونحن نتحدث عن السابقين القدماء من الادباء والشعراء ، *والعصر الادبي الحديث ما زال يطالبنا ببقايا ديون‌مستحقة* له عندنا ، واذا كان بعض رجال‌هذا العصر قد اسعدهم الحظ فوجدوا من يبدىء في القول عنهم ويعيد ، فما زال فيه رجال لم ينالوا حقهم من العناية والتقدير ، ومن هؤلاء السيد محمد رشيد رضا .

خامسا : رشيد رضا ـ كما عرفنا ـ لبناني المولد والنشأة ، مصري الاقامة والوفاة ، فدراسة حياته وادبه فيها معنى التوثيق للروابط بين قطرين من اقطار الوطن العربي الكبير ، ومصر ـ وهي الام العربية الكبيرة ـ اولى من غيرها بان يمتد بصرها الادبي النفاذ الى ارجاء هذا الوطن لتزداد تعرفا اليه وتعريفا باحواله ورجاله .

سادسا : اتصل رشيد رضا بالبيئة الازهرية ، ناقدا تارة ، ومؤيدا تارة ، ومهما يكن موقف رشيد من الازهر او الازهريين ، فالحديث عنه لا يبعد من الحديث عن الازهر الشريف الرابض كالاسد على طريق الخلد والابد ، معقلا للعروبة ، وحصنا للاسلام ، وما زلت اومن بشرف النسبة الى هذا الجامع الازهر المجيد .

كانت الدوافع الى البحث ـ اذن ـ كثيرة ، فهل كانت كثرتها معوانا على سهولة البحث ويسره ؟. تمنيت لو كان الجواب كلمة : نعم . ولكن حياة السيد رشيد رضا ضخمة ، وتراثه الفكري كبير متشعب ، وقد جمع في حياته وجهوده وآثاره بين الدعوة الدينية ، والفكرة الاجتماعية ، والروح القومية ، والوجهة السياسية ، والنزعة الادبية ، والغيرة اللغوية ، وتلاقت هذه النزعـات والاتجاهات ، وتضافرت احيانا ، وتنافر بعضها مع بعض احيانا اخرى ، فاذا جاء الباحث ليبحث هذه الشخصية من زوايا معينة ، كالنواحي الادبية واللغوية ، احتاج الى ان يخوض عباب هذا المحيط ، ويصطبر على امواجه وتياراته ، حتى يتم عملية الفصل والتمييز بين مـا يدخل نطاق البحث وما يخرج منه ، وما يدنو اليه وما ينأى عنه ، وان كان من المقرر اننا لا نستطيع ان نفصل فصلا تاما بين جانب من آثار الكاتب وجانب اخر منها .

وشغلني هذا العباب اربع سنوات من حياتي ، ابحث عن رشيد واقرأ له واكتب عنه ، بل كنت انتفع قبل ذلك في موضوعه خلال بحثي عن شكيب ارسلان وترجمتي له ، وجمعت آثار رشيد وطالعتها فاحصا ، وفي طليعتها مجلة المنار وهي في اربعة وثلاثين مجلدا ، وتفسير المنار هو في اثني عشر مجلدا ، وحصلت على اكثر ما خلف رشيد من اوراق ورسائل ، وقضيت ما يقرب من نصف عام اغربل اوراق رشيد ورسائله وقصاصاته ، وحصلت من وراء ذلك على‌فوائد جمة ، ورد جانب منها في رسالتي ، وبقيت منها اشياء واشيـاء ادخرها لمجالات اخرى من البحث ان شاء الله .

ثم تنقلت بين لبنان وسورية وفلسطين والاردن واليمن‌والسعودية، وانا لا ادخر وسعا في جمع ما يتعلق بموضوعي او يقرب منه ، واستنبأت مراجع مطبوعة قاربت ١٥٠ مرجعا ، واكثرها مراجع‌واسعة مبسوطة ، ورجعت الى اسرة رشيد ، وتلاميذه ، ومعاصريـه ، سواء اكانوا مؤيدين له ام ناقدين ، فاخذت من افواه هؤلاء الذين اسميهم « المراجع الحية » كثيرا من المعلومات عن رشيد ، واذكر منهم‌الاساتذة الفضلاء : محب الدين الخطيب ، عبد السميع البطل ، محمد ابو زهرة ، طه حسين ، عثمان امين ، عبد الرحيم عاصم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، محيي الدين رضا ، طاهر الطناحي ، عبد الله امين ، عبد الجليل عيسى ، عبد المنعم خلاف ، المعتصم رضا ، شفيع رضا ، نعمى رضا ، « ام شفيع » زوجة رشيد عليه الرحمة والرضوان.

هذا ولقد جعلت بحثي في ستة ابواب ، كل باب منها يندرج تحته عدة فصول او اجزاء .

وكان الباب الاول بطبيعة الحال عن « عصر رشيد رضا » الحافل بالاحداث والوقائع ، المتعدد الالوان والاتجاهات ، ولقد سبق لي ان تحدثت عن هذا العصر في اثناء دراستي لشكيب ارسلان ، لان‌الرجلين متعاصران ، وحاولت مع رشيد الا اكرر ما كتبت ، فزدت هنا واضفت، وحرصت على امر جديد له قيمته ، وهو ان اجلو ملامح هذا العصر من خلال ما كتبه رشيد او نشره ، فاستعنت بمجلة « المنار » التي تشبه دائرة معارف اسلامية ، واستعنت بآثار رشيد نفسه ، وحاولت قدر طاقتي ان اربط بين عصر رشيد ورشيد ذاته من ناحية تأثره بالعصر وتأثير عصره فيه ، وما كان هناك من ظلال لذلك في ادب رشيد .

واستعنت في هذا التصوير برسائل خطية وفقت للعثور عليها لرشيد رضا ، وشكيب ارسلان ، واحمد فتحي زغلول ، وغيرهم ، وهذه الرسائل لم تنشر من قبل ، وفي نشرها قيمة ادبية وتاريخية لا تنكر ، وصححت في هذا الباب طائفة من الاخطاء التي وقـع فيها الكاتبون عن عصر رشيد ، او عن رشيد نفسه .

واما الباب الثاني فهو عبارة عن « حياة رشيد » .

وقد استطيع ان ازعم انه لم يسبق لاحد ان ترجم لحياة السيد رشيد رضا ترجمة مفصلة وافية كما فعلت ، وهناك من كتب عن رشيد كتابة لا انكر قيمتها او مكانتها ، ولكنها اما ان تكون كتابة غير متكاملة ، واما ان تكون ترديدا لما كتبه رشيد عن نفسه ، بعد تحويل ضمائر المتكلم الى ضمائر الغائب .

لقد تابعت رشيدا من مهده الى لحده ، ولم اترك كبيرة او صغيرة ذات قيمة في حياته الا رصدتها وسلكتها في سمـط ايامه المتوالية ، فتحدثت عن اصله واسرته ، وعن مولده ونشأته ، وعن تعلمه وهجرته ، وعن تنقلاته ورحلاته ، وعن صلته بالاستاذ الامام وغيره ، واصداره المنار وتفسير المنار ، وما كان له في مجال‌السياسة والاجتماع ، وعن زواجه واولاده ، وعن اخلاقه وعاداته ، وعن اضطراب علاقته ببعض الناس ، فقد صادق ثم عادى ، وظاهر ثم نافر ، وضربت امثلة لذلك في علاقاته بالشريف حسين بن علي ، والشيـخ حسين الجسر ، والامير شكيب ارسلان ، والشيخ عبد الكريـم سلمان ، والاستاذ عبد العزيز جاويش ، والشيخ مصطفى المنفلوطي .

ولم يفتني ان اذكر ما يبدو من عيوبه كالحدة وسرعة الانفعال ، وكثرة الحديث عن النفس ، وحرصه على عبارات المديح من غيره ، وتناقضه في بعض الاحيان ، ولم ادخر وسعا في التماس العذر لبعض ما يؤخذ عليه ، ذاكرا قول امير الشعراء احمد شوقي :

رزقت اكرم ما في الناس من خلـق اذا رزقت التماس العذر في‌الشيم

والباب الثالث موضوعه ، « اساتذة رشيد ومصادر ثقافته » .

وقد تتبعت فيه اساتذة رشيد استاذا استاذا ، وهـم الشيخ حسين الجسر ، والشيخ محمود نشابة ، والشيخ عبد الغني‌الرافعي، والشيخ محمد القاوقجي ، والسيد جمال الدين الافغاني ، والشيخ محمد عبده ، وابنت ان الاربعة الاوائل كانوا اساتذة لرشيد بالتعليم المباشر ، واما جمال الدين ومحمد عبده فكانا استاذين له عن طريق قراءته لهما وتأثره باحوالهما واقوالهما . ولما كان الشيخ الجسر ابرز اساتذة رشيد اثرا فيه ، فقد توسعت في ترجمته بصورة لم تسبق، وبينت ما كان بين الاستاذ وتلميذه من اتفاق وشقـاق وابنـت ان

الاستاذ الامام قوى في رشيد نواحي العناية باللغة والكتابة والعروبة والاسلام كما بينتمدى استقلال شخصية رشيد عن شخصية الاستاذ الامـــام .

ثم تتبعت مصادر ثقافة رشيد ، بعد ان صورت عصاميته فـي تكوين شخصيته ، واوضحت ان اهم الكتب التي تاثر بها اولا هي كتاب احياء علوم الدين للغزالي ، ومقدمة ابن خلدون ، وكتب ابن تيمية وابن القيم ، ثم تعددت المصادر ، فمنها كتب دينية ، ومنها كتب لغوية ومنها مجلات علمية وادبية ومنها كتباجنبية مترجمة ...

ثم ياتي الباب الرابع وهو « رشيد الاديب » :

وهذا الباب هو اوسع ابواب الرسالة ، ومن حقه ان يتسع وينبسط ، فرشيد الاديب اللغوي يعنينا هنا اكثر مما تعنينا جوانبه الاخرى التي سأفرد لها بمشيئة الله تعالى مجالا غير هذا المجال . وعند حديثي عن رشيد الاديب ازلت وهما شائعا عند الكثير ، وهو ان رشيد رضا كان رجل دين فقط ، واوضحت انه كان الى جوار ذلك اديبا ، كتب المقالة ، وألف الكتاب ، وقـال الشعر ، وبحث في اللغة ، وصاغ الرسالة ، وصنع المقامة، ومهر الخطابة ، واشتغل بالصحافة ، ونقد القصة والشعر .

وابنت أن الخطابة غلبت عليه في صدر حياته لاسباب ودوافع فصلتها ، ثم غبت عليه الكتابة بعد هجرته ، وشرحت دوافع ذلـك ، ثم بينت سهولة الاسلوب عنده ومبلغ العاطفة والانفعال في ادبه ، وملامح كتابته من ناحيتي اللفظ والمعنى ، او الشكل والمضمون ، ثم تحدثت عن رشيد والبلاغة ، وعنايته بالجملة القرآنية ، واستمداده منها ، واستعانته بها ، وعدم رغبته في مخالفة اسلوب القرآن الكريم ولو الى صواب ، جريا على مذهب مدرسة الاستاذ الامام ، وتحدثت عن الرسالة في ادب رشيد ، واوردت نماذج لم تنشر من قبل ، وحللتها ، ولم يسبق لاحد ان تحدث عن هذا الجانب عند رشيد بقليل اوكثير. ثم تكلمت عن رشيد والقصة، واوضحتكيف سبقرشيد العقاد بنحو نصف قرنفي الحكم علىالقصة بانها كالخرنوب : قنطـار خشب ودرهم حلاوة ، وتكلمت عن رشيد والنقد ، ورشيد والترجمة، واحصيت جميع التراجم التي تضمنتها مجلدات المنار الكثيرةالكبيرة ، وهو جهد ينفع كثيرا في مجال كتابة التراجم في العصر الحديث ، ثم تكلمت عن رشيد والخطابة ، واوضحت موقفه منالاعداد والارتجال، ومن الطرائف هنا انني وفقت الى العثور على اول خطبة خطبها رشيد، والقاها في حفل عام ، وجدتها بخطه نفسه فسجلتها في بحثي وعلقت عليها، ولا شك ان هذه الخطبة وثيقة ادبية مهمة في حياة رشيد .

وبعد ان استعرضت آراء رشيد في الثقافة والتربية والتعليم والادب الشعبي ، تحدثت بتوسع عن مجلـة المنار ، فتابعتها منذ التفكير في اصدارها ، حتى اخر عدد صدر منها ، ذاكرا ما لها وما عليها ، ثم انتقلت الى الحديث عن تفسير المنـار ، وبينت الاسسالتي نهض عليها ، ووجوه الشبه ووجوه الاختلاف بين طريقتي الاستاذ الامام ورشيد رضا في التفسير وتعرضت بتفصيل لاستخدام العقل فيتفسير المنار ، وصلة ذلك بالناحية الادبية ، ثم اوضحت اسراف هذا التفسير في استخدامالعقل، واوردت امثلة لذلك، ثم بينت المآخذ على التفسير، مثل الاستطراد الطويل، والنزعة الخطابية ،وعدمالاستقرار فيالتفسير، والعجلة في الكتابة ، والاضطراب بين الايجاز والاسهاب .

ثم ياتي الباب الخامس ، وهو عن « رشيد الشاعر » :

وهو باب واسع طويل كذلك ، وكثير منالناس لا يعرفون ان رشيد رضا كان شاعرا ، وقد حددت اول صلة لرشيد بالشعر ، ثم تحدثت عن قصائده الاولى ، وعن عنايته بالشعر ، ونشره له فيمجلة المنار ، وعدم تحرجه من نشر شعر الغزل ، وحللت رأيه في الشعر الذي يقول عنه : « انه شعور يتاثر به صاحبه ، فيعبر عنه ، بانفعال، فيتأثر به غيره » ولذلك يعد النثر المؤثر الناشىء عن الانفعال شعرا .

واستعرضت آراء رشيد في شعراء عصره ، امثال البارودي ، وشوقي ، وحافظ ، والكاظمي ، والمنفلوطي ، والرصافي ، وعبد الحليم المصري ، وناقشتهذه الاراء مؤيدا لها تارة وناقدا اياها تارة اخرى . واهم ما في هذا الباب هو « مقصورة رشيد» التي عارض بها مقصورة ابن دريد ، وقد وفقني الله تعالى للعثور على الاصل الخطي الكامل لهذه المقصورة ، ولم يسبق نشره ، وقد اضناني الجهد الذي بذلته في اقامة نص هذه المقصورة وضبطها والتعليق عليها ، وهي ثروة لغوية وشعرية ، كما انها ملمح اساسي في شخصية رشيد ، لانها أطول قصيدة في شعره ، ولانه لا يعتز بقصيدة من قصائده مثـل اعتزازه بها ، ومع ذلك عقدت النية على ان اعود الى هذه المقصورة لاشرحها شرحا وافيا ، واوسع نطاق المقارنة بينها وبين مقصورة ابن دريد. وقد رأيت من المناسب ان اقدم لهذه المقصورة ببحثعنالمقصورات في الشعر العربي ، واستدركت في هذا البحث اشياء علـى من سبقني بالحديث عن المقصورات في الادب العربي .

ثم ياتي سادس الابواب واخرها ، وهو « رشيد اللغوي » :

وهذا باب واسع كذلك ، والصلة وثيقة بين البحث الادبـي والبحث اللغوي ، وقد شرحت فيه عناية رشيد باللغـة العربية ، وغيرته عليها ، وآراءه فيها ، واوضحت اتساع افقه في مناصرته للفصحى وفي نظراته اللغوية ، فهو يرى ان للالفـاظ دولا كدول الاشخاص ، وان معاني الكلمات تتطور وتتغير بتغير الازمنة والامكنة ، وطرق الاستعمال ، وهو يدعو الى جعل القرآن الكريم المعجم الاساسي في تفهم روح العربية ، وتعرضت لمساجلاته اللغوية مع شكيبارسلان والشنقيطي وجبر وضومط وغيرهم ، وتحدثت عن وضعه المصطلحات وتنقيبه عن مجموعة من الكلماتكلكلمة منها تؤدي معنىجملة،وقدسماها «فرائد اللغة العربية» وقارنت بين عمله وعمل غيره في هذا الباب .

ثم تعقبت رشيدا في ملاحظات لغوية عليه ، فذكرت اكثر من عشرين ملاحظة ، ولم يدفعني الى هذا التعقب رغبة في تلمسالاخطاء ، بل دفعني اليه حرصي على ان اقول ما لرشيد وما عليه ، حتىيكسب بحثي صفتي الحياد والرشاد .

هذا وقد ختمت الرسالة بفصل تحت عنوان : « تقويم كتابات عن رشيد » ، ذكرت فيه ان بعض من كتبوا عنـه قد وقعوا فـي هفوات او اخطاء تحتاج الى تصحيح ، وتناولت كتاب « الاسـلام والتجديد في مصر » فذكرت ما وقع فيه من اخطاء تتعلق برشيد رضا ، ثم تناولت كتاب « مصادر الدراسة الادبية » ، ونقدت الترجمة التي جاءت فيه عن رشيد ، عليه رضوان الله تعالى .

هذا عرض سريع مركز لجوانب بحثي عن السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار وعن عصره وحياته وجهوده الادبيةواللغوية ، ولو تناولت كل فصل من فصول الرسالة لابين جهدي فيه لامتد حبل الكلام ، فحسبي ان اقول انها رسالة من طالب شيخ توضع بينايدي اساتذة كبار ، واذا كنت اشكر للاستاذ الجليل الدكتور محمد نايل اشرافه ، فاني اشكر الاستاذ الكبير الشيخ عبد الغني اسمـاعيـل والاستاذ الكبير محمد خلف الله احمد على اشتراكهما في المناقشة .

اما بعد ، فقد بذلت في البحث جهدي ، ولم اضن عليه بشيء من طاقتي او وقتي ، واغلب ظني اني قد وفقت فيه الى اشياء ، وان كنت في الوقت نفسه اومن الايمان كله بأن الكمال لله وحده ، هو عز شانه المنزه عن الخطأ والسهو والنسيان وما زلت طالب علم مهما تقدمت السن، وفوق كل ذيعلم عليم.والسلام عليكم ورحمةاللهوبركاته.

وبعد الانتهاء من هذا العرض بدأ الاستاذ محمد خلف الله احمد في الحكم على الرسالة فكان مما قاله :

« الاشتراك في مناقشة الرسـائـل العلمية الجامعية ـ ايها السادة ـ شرف يتطلع اليه كل باحث ، وكل مشارك في الدراسات الجامعية،ولكن حين تكون الرسالةعنعلم مناعلام مدرسة جمال الدين

الافغاني ومحمد عبده ، وحين تكون الرسالة مقدمة الى كليتنا كلية اللغة العربية بجامعة الازهر ، وحين يشاء التوفيق ان تناقش هذه الرسالة في قاعة الشيخ محمد عبده ، وحين يشاء التوفيق ان يكون واضع الرسالة هو الاخ الصديق الشيخ احمد الشرباصي يشعر المشارك في مناقشة هذه الرسالة بشرف كبير يجب ان نعبر عنوان نعترف به .

وليست هذه اول مرة نلتقي فيها بالاخ الصديق الشيخ احمد الشرباصي ، فلنا معه لقاءات سابقة مباركة ، ولا اظننا في حاجة الليلة الى ان نأخذ بتلابيب الاخ الشيخ احمد ، فان العوان لا تعلم الخمرة ، كما جاء في المثل العربي .

وقد يحدث في مناقشة امثال هذه الرسالة الجامعية ـ هنا وفي مختلف الجامعات ـ ان يكثر الاخذ والرد بين اللجنة وبين واضع الرسالة ، وربما اشتد هذا الاخذ وهذا الرد ، وطال الجدال ، ولكن الذي تواضع عليه العلماء ، وتواضعت عليه الجامعات في مثل هذا الموقف ، ان المناسبة ليست مناسبة تهوين او تقليل من شأن الرسالة المقدمة ، وليست مناسبة لمحاولة التخطئة لصاحب الرسالة ، او اظهار ناحية نقص فيها ، ولكنها مناسبة للاحتفال به ، ومناسبة لتهيئة الفرصة له ، ليعرض ما عنده من نتائج هذا البحث الطويل الذي توفر عليه اربع سنوات او اكثر .

وقد نتكلف النقاش تكلفا في مثل هذه الرسالة، حتى تتهيأ الفرصة للاخ الزميل ، ليفيض ويفيض ، ومن هنا جاءت فكرة المناقشة العلنية ، فالمناقشات الجامعية ـ كما تعلمون حضراتكم ـ تسير على طريقتين : هناك امم تأخذ بنظام المناقشة الخاصة ، تجتمع لجنة المناقشة بصاحب الرسالة في حجرة مقفلة ـ ، فتختلي بـه خلوة علمية ، ويجاذبونه الحديث ، ويثيرون معه من المناقشات ما يثيرون ، ثم ينتهون بالنتيجة التي ينتهون اليها .

والطريقة الثانية هي هذه ... اتاحة الفرصة لصاحب الرسالة ليعرض دراسته على جمهور الحاضرين ، وعلى الاخص مثل هذا الجمهور الذي يجمع الى شيوخنا والى صفوة من كبار العلماء والمفكرين ، يجمع ايضا نخبة من شباب الازهر : طالباته وطلبته . ويسعدني ان ارى هذا الجمع الحاشد من الزملاء والزميلات في هذه المناقشة بالذات ، لانها موسم لتكريم مدرسة الشيخ محمد عبده التي يعيش فيها كثير من نواحي الاصلاح ، في الفكر ، وفي اللغة ، وفي الادب ، ونعيش في بركات جهودها ، ويسعدني من ناحية اخرى حضور هؤلاء الزملاء والزميلات ليشهدوا كيف تتعاون الثقافة الاسلامية والثقافة العربية على تخريج باحث عالم محقق مدقق مثل صاحب الرسالة اليوم.

وهو ـ واقولها دون محاباة ـ يضع امامنا وامام طلبتنا وطالباتنا نموذجا من الباحث العلمي المؤمن بدينه ، الحريص على لغته ، الذي يضع جهوده وعزيمته في خدمة الدين ، وفي خدمة الاصلاح ، وفي خدمة اللغة ، وفي خدمة الدراسات العلمية .

والبيان السمح الذي قدم به صاحب الرسالة رسالته ليس الا صدى للبيان السمح الذي كتب به الشيخ احمد الشرباصي رسالته، والذي يكتب به عادة كتبه وبحوثه .

وفي هذه الرسالة نواح ارجو مرة اخرى ان يتنبه لهـا طـلاب البحث العلمي ، فالرسالة متسمة بالتعمق والاحاطة بالثقافة العربية الاسلامية ، ومن اجدر منا نحن ابناء الازهـــر بهذه الاحاطة وهذا التعمق ؟. والرسالة ـ كما رأينا ـ موفقة في اختيار موضوعها ، فهو موضوع يهم الدراسات الدينية ، ويهم الدراسات الادبية واللغوية ، ويهم الازهر ، ويهمنا نحن العرب المسلمين من حياتنا ومن نهضتنا .

والرسالة الى جانب هذا فيها ـ كما هو ملموس ـ الاحاطة بالعصر وتياراته ، وبالمعارف الحديثة ، وهذا شيء لمسناه نحن في قراءتنا لهذه الرسالة ، وفي المتعة العلمية والعقلية التي خرجنا بها من قراءتنا لها .

وفي الرسالة ـ وهذا شيء عرفناه للشيخ احمد الشرباصي من قبل ـ البحث عن الوثائق ، والهجرة في سبيلها . فليست الرسالة هنا مجرد رسالة يرجع فيها صاحبها الى كتاب هنا وكتاب هناك ، ولكنها جهود علمية ، وهجرة في سبيل العلم على طريقة اسلافنا من علمائنا في الزمن القديم .

والرسالة تضم الى جهودها العلمية تحقيقات للنصوص ، ومنها كما سمعتم التحقيق لمقصورة الشيخ رشيد رضا .

وهناك شيء اخر لمسته في هذا البحث ، واعتقد انه من الفائدة بمكان ، وهو تنبيه صاحب الرسالة الى نواح تصلح للبحث في المستقبل ، صادفها الباحث في طريقه ، ولكنـه مشغول بالبحث الرئيسي ، فهو لا يريد ان ينصرف عن بحثه الرئيسي الى هذه النواحي الجانبية ، ولكنه يشير اليها ليشغل بها هو ، وليشغل بها بعض زملائه ، وليشغل بها بعض طلابه في المستقبل ان شاء الله ، وهذا نموذج من الاستاذية الخصبة المفيدة .

اما البيان ووضوح الفكرة فانتم شهوده ، ونحن قد شهدناه وخبرناه ، وصاحب الرسالة ـ الى كل هذا ـ يتسم بالوضوح الفكري، فهو باحث يناقش ويحلل ، وينقد في موضع النقد ، كل ذلك في بيان عف ، وفي استاذية صادقة .

الرسالة اذن ايها الاخ الشيخ احمد الشرباصي رسالة ناجحة ولله الحمد ، رسالة موفقة ، نسأل الله ان يبارك لك جهـودك فيها ، وان يزيدك وايانا من نعمه » .

وبعد ان قضى الاستاذ محمد خلف الله احمد ما يقرب من ثلثي ساعة في الحديث والمناقشة حول نتائج الرسالة ، واتساع الحديث عن عصر رشيد وحياته ، وعن الخلل الواقع في وزن بعض الابيات في المقصورة ، ودارت مساجلة واسعة بينه وبين صاحب الرسالة ، تكلم فضيلة الاستاذ عبد الغني اسماعيل استاذ الادب بكلية اللغة العربية ، فنوه بمواهب الاستاذ الشرباصي ، وصور فرحته حين طالع بحثه ، وقال انه لم يترك جانبا من جوانب رشيد الا تناوله وهذا مجهود كبير ، وتكلم عن مشابه رضا والشرباصي ، ثم تباحث مـــع صاحب الرسالة عن جهود رشيد اللغوية ، وفي نهاية هذه المساجلة قال لصاحب الرسالة : « ان رسالتك فخر لجامعة الازهر ، ونسأل الله ان يكثر من امثالك ، واحب ان اشكرك على ما صنعت مع رشيد، فانه رجل هاجر من بلده ووهب نفسه للدين ، وافق الازهر ام خالفه، سار في موكب محمد عبده او اختلف عنه ، فقد كان رجلا ادى رسالته في الحياة ، وشارك في جميع انحائها بقلمه ولسانه ومؤلفاته ، وانت قد جليت عن هذه الحسنات في رسالتك احسن تجلية ، تجلية لم ارها لاحد من قبلك ، وارجو ان اراها لمن بعدك . وحسب رشيد انه باع في سبيل الدعوة الى الله عقاره ، ورهن في اخريات ايامه داره ، وامتع الله بك ووفقك للخير » .

ثم تحدث الدكتور محمد نايل ، فوصف الرسالة بأنها كتابة وافية عن علم من اعلام النهضة ، وان المكتبة العربية كانت في حاجة الى هذه الكتابة ، وان الرسالة هيأت جوا للمساجلات الطريفـة المتعـة والمناقشات الحية الواسعة ، وان القسم التاريخي فيها اعطانا الصورة الكاملة لعصر رشيد رضا واتجاهاته وملامحه وبيئته ، وان رشيد رضا كان خير وارث لمدرسة جمال الدين الافغاني ومحمد عبده ، ثم نوه بأن مناقشة هذه الرسالة هي اول مرة تحتفل بها هيئة الاذاعة وهيئة التليفزيون فتسعى كل منهما لتسجيلها ، ولم يحدث مثل هذا في تاريخ الازهر من قبل .

وبعد ثلاث ساعات من العرض والمساجلـة والمناقشة اصدرت اللجنة قرارها بمنح صاحب الرسالة درجة الدكتوراه بالامتياز مع مرتبة الشرف الاولى .